مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ابن لعبون
حياته وشعره

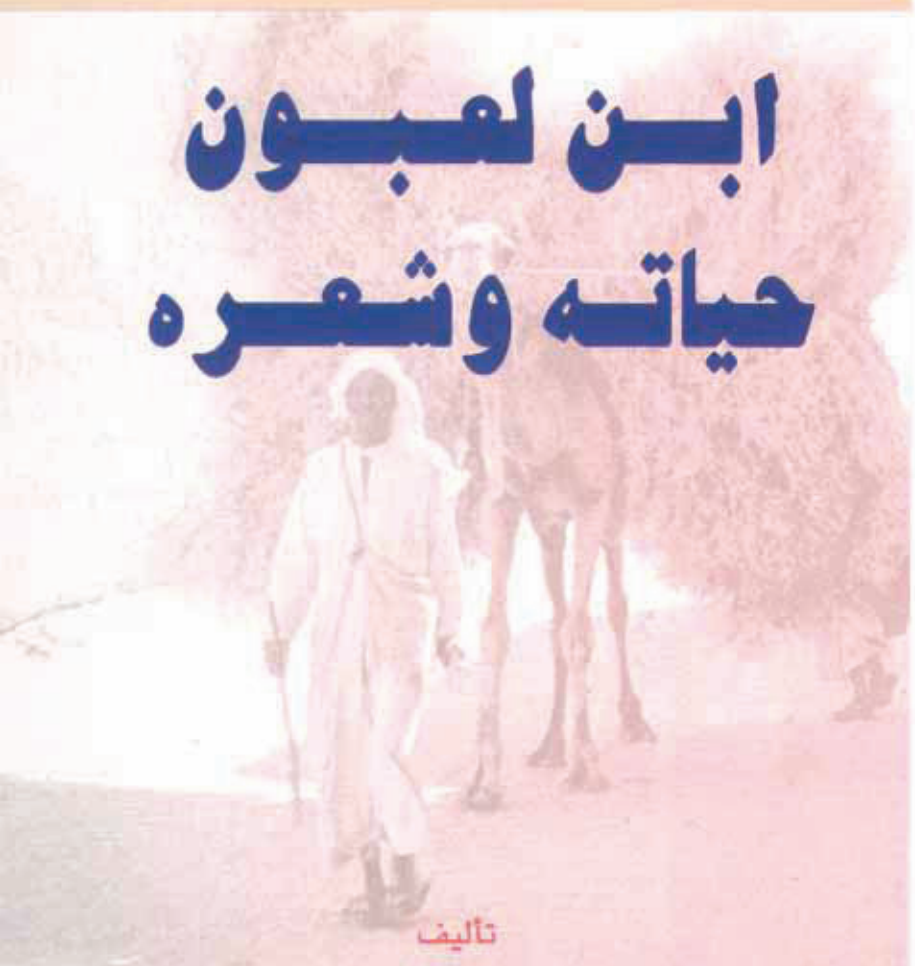

تأليف

أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر العقيل

يصدر بمناسبة
إقامة ملتقى
ابن لعبون
الكويت
٢٧-١٩٩٧/١٠/٣٠

ابــن لعبــون
حياتــه وشعــره

[قراء ة جديدة ، وتدوين جديد لترجمة ابن لعبون
وشعره .. وانتفاضة من أوهام النقل الشفوي
وتناقضه إلى صريح الدلالة ، وضروري الاستنباط .]

تأليف
أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر العقيل

يصدر بمناسبة
إقامة ملتقى ابن
لعبون
الكويت
٢٧-١٩٩٧/١٠/٣٠

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه أمين عام
مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
ومعاونوه

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي محمد العلي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

هذه الطبعة
خاصة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ـ الكويت
بعدد محدود من النسخ للإهداء فقط وذلك بترخيص من
دار ابن حزم للنشر والتوزيع
تلفون وفاكس:٤٦٢١٥٤٢ ـ ص.ب٢٢٥٦٦ الرياض١١٤١٦

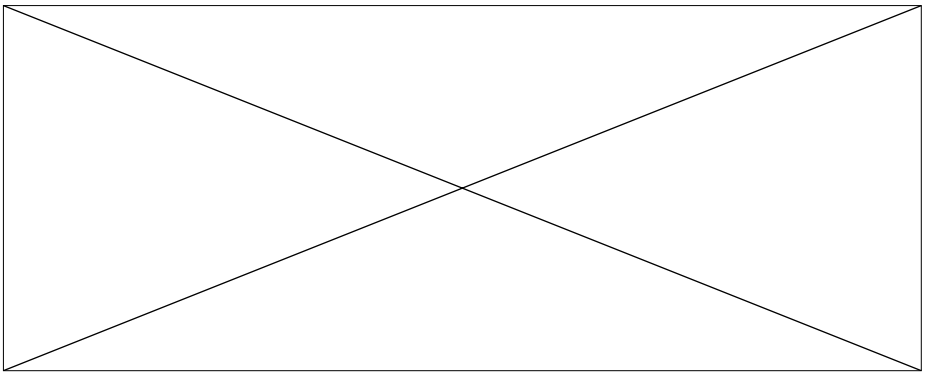

حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

[كم رأينا من نعيم واضمحل
مع حبيب نازل فيها وشال
يا عديم الراي لو هي بالعقل
ما سوت عندك على بخنك عقال

ابن لعبون

قال أبو عبدالرحمن : البخن في العامية تحديق النظر ، ولم أعرف وجهها من الفصيح بعد]

الإهداء

إن عبدالعزيز بن سعود البابطين بمؤسسته الكريمة – مؤسسة جائزة الإبداع الشعري – نموذج السَّري الطموح الذي كرس جزءاً من وقته ، وبذل كثيراً من قدرته المالية لتشجيع الأدب والأدباء .. وكثير من أهل المال يغبطون أنفسهم بأنهم عن هموم الأدب والفكر في عافية !! .

إن لهذا السري الفاضل في قلبي – ولعل ذلك شعور زملائي في الحرفة – الحب، والإعجاب .. ومن هذه المشاعر أهدي مؤسسته الكريمة هذا الكتاب عن ابن لعبون بمناسبة قيامها بملتقى ابن لعبون .. وفقه الله وبارك في مؤسسته .

المؤلف

قال مسكين الدارمي :

(وإذا الـــفـــاســق لاقــى فـــاســـقـــاً
فـــقـــديمـــاً وافـق الـــشن الـــطـــبـــق
إنمـــا الـــفـــسـق ومـــن يـــعـــتـــاده
كـحـمـــار الـســـوء مـــا شـــاء نـــهـق
أو كـــعـــبـــد الـــســـوء إن جـــوعـــته
ســـرق الجـــار وإن يـــشـــبـع فـــسق

أخذ البيت الأخير ابن لعبون بقوله :

الـعـبـــد عـبـد هـافـيـــات عـمـــوقـــه
ان جـاع بـاق عـمـومـته وان شـبع مـاق

وأخذه قبله حميدان الشويعر في قوله :

يمـــوق الى شـــبع وان جـــاع يـــســـرق .

عن خيار ما يلتقط

(١٠٧/١)

تصدير..

عندما كنت في سن الطفولة كانت عبارة «الصح يبقى والتصنف جهالة» تتردد كثيراً على مسامعي دون أن أدرك بأنها صدر بيت من الشعر النبطي صار مثلاً شائعاً لشاعر من أهم شعراء منطقتنا وأكثرهم تغلغلاً في الوجدان العام لعرب الخليج والجزيرة العربية، وفي فترة لاحقة تنبهتُ لاسمه يتردد في المنزل وتعودت الاستماع لاسم محمد بن لعبون وكأنه من أفراد العائلة حتى تبينت مع الوقت أنه من أخوالي فهو «عم جدي لأمي».

وفي الأربعينات عرفت أن شقيقي الأكبر عبداللطيف سعود البابطين قد عكف على تدوين أشعار كثيرة لابن لعبون ولغيره من مجايليه ولاحقيهم حتى تكونت لديه حصيلة ثمينة، تابعته يحرص على تدوينها من كبار السن ويحفظها من الضياع حتى تهيأت الظروف لطباعتها بعد سنوات طويلة.[١]

إن الحديث حول محمد بن لعبون الشاعر المبدع لا ينتهي فقد تناوله الناس خاصتهم وعامتهم ونسجوا الكثير من الحكايات حول سيرته حتى بدا وكأنه شخص خيالي، كما تناوله بالدرس والمتابعة عدد كبير من الباحثين والمهتمين وكان أولهم الأديب الكبير خالد محمد الفرج[٢] حين أصدر كتابه «ديوان النبط» عام ١٩٥٢ ثم الأديب المعروف عبدالله خالد الحاتم[٣] بمجموعته المتميزة «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»

(١) صدرت في طبعتها الأولى بالرياض عام ١٩٨٨ ثم في الكويت عام ١٩٩٤.

(٢) خالد محمد الفرج أديب كويتي ولد عام ١٨٩٨م وتوفي ١٩٥٤ وعاش ردحاً من حياته في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

(٣) عبدالله خالد الحاتم أديب كويتي ولد عام ١٩١٦م وتوفي ١٩٩٥

بعدها بقليل وكلاهما تم طبعه في دمشق. وهذان الكتابان يعدان بحق من أهم وأقدم مصادر دراسة الشعر النبطي وشعر محمد بن لعبون وأنداده على وجه الخصوص.. ثم تتالت بعد ذلك الجهود ودخل الميدان علماء كبار أمثال الشيخ عبدالله بن خميس والشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل.

إن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وهي تقدم هذا الكتاب حول سيرة الشاعر محمد بن لعبون وشعره، فإنها تود الإشادة بالجهد الكبير الذي بذله فضيلة الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري في جمع مادة الكتاب وتحقيقها وشرحها وتبيان أوجه القول فيها وفي مواقف وأحداث حياة الشاعر بدأب يستحق الإعجاب، على أنه ينبغي التأكيد هنا على أن لفضيلة الشيخ رأيه الذي قد لا يتطابق بالضرورة مع رأي المؤسسة والقائمين عليها، لكنها سنة درجت المؤسسة عليها منذ قيامها أن لا تتدخل في العمل الفني، وأن تترك لصاحبه حريته الكاملة في التفاصيل وتكتفي المؤسسة بالاتفاق على الإطار العام.

لقد طرح الشيخ أبو عبدالرحمن الكثير من الآراء في التفاصيل الدقيقة لسيرة الشاعر ولشعره ورجح ودحض وأكد وأضعف وأثبت وشكك في الكثير من الأمور، وقال ذلك كله خلال بحثه الشائق، كما فسر بعض الألفاظ والعبارات واجتهد في الرجوع للمصادر الأساسية ومعاجم اللغة، لكنه أشار بشيء من الحدة هداه الله إلى أخطاء افترضها في شعر الشاعر، ولو أنه عاد إلى مصادر أخرى من رواة آخرين، أو تيسر له الإلمام بمعاني الكلمات والعبارات الواردة في اللهجات المتعددة التي حذقها وأحبها وعاشها الشاعر، لأدرك أسرار إبداعه ومراميه.. وكمثال على ذلك .. إشارة الشيخ في أول كتابه صفحة (٥) إلى كلمة «البخن» وسعيه لإدراك معناها والبيت المشار إليه لا علاقة له بالبخن.. وذلك أن العبارة مألوفة جداً لدى أهل الزبير (على

بختك) والبخت هو الحظ والعبارة كاملة مماثلة لتعبير (أفا عليك أو بسلامتك أو بحظك وشرفك) وعلى ذلك يكون الشطر «ماسوت عندي على بختك عقال» ومعناها «ما سوت عندي أفا عليك ثمن عقال» ومثال آخر .. يتحدث الشيخ في الهامش ٢٥٨ صفحة ٣٣٦ عن بيت ابن لعبون .. (ما حيت الجار للجاره) وذلك في رواية الفرج والحاتم لكن في رواية طرائف الكلام لعبد اللطيف البابطين «ما حيت الجار الجاره» وهو في تقديري الأصوب وبذلك تنتهي الحاجة للتعليق الذي أورده الشيخ في الهامش المشار إليه في ذات الصفحة، ومثال ثالث في الهامش ٦٧٨ صفحة ٤٥٥ حيث جاء فيه أن (الزلف) و (وشامة) ربما كانت مواقع جغرافية في نجد أو الزبير، بينما معناها الأقرب ضمن السياق أن الشاعر يقصد (الزلف) و (وشامة) وهما شعر السالف والوشم المرسوم على الوجه. ومثال رابع يقول الشيخ هداه الله إن ابن لعبون لا يجيد المروبع وليست لديه قدرة على المجيء بأكثر من كلمتين متطابقتين نطقاً ومختلفتين معنى .. وبالرجوع للنصوص نلاحظ أن الشيخ هو الذي لم يتوصل للمعنى الثالث. وهناك العديد من الأمثلة. على أنه ينبغي الاعتراف للشيخ أبو عبد الرحمن بالجهد الوافر المبذول في بحثه القيم. فهنيئاً له بهذا الإنجاز الذي أتفق معه في جله وأختلف معه في بعضه، لكنني أحترم علمه وفضله وأقدر له همته العالية واهتمامه الكبير.

إنني أدعو الباحثين والمهتمين بهذا الأدب الرفيع لبذل المزيد من الجهود لجلاء صورة هذا الأدب وتقييم جهود مبدعيه من كبار الشعراء الذين أثروا حياتنا وشكلوا وجداننا الجماعي عبر عشرات السنين.

إن ميلاد ابن لعبون في نجد مهد العروبة والإسلام ووفاته في الكويت درة الخليج العربي أمر له دلالته العميقة في التأكيد على وحدة المنطقة وعمق الروابط بين أبنائها، الشيء الذي يردده دائماً أصحاب الجلالة والسمو قادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مؤتمراتهم المتتالية.

أشكر للشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري إنجازه الكبير وأقدر جهد أمين عام المؤسسة الأخ عبد العزيز السريع ومعاونيه في الإشراف على طباعة هذا الكتاب ومراجعته وإظهاره بهذه الصورة.. آملاً أن يلقى أصداء طيبة لدى القراء.

والحمد لله رب العالمين

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ١٩٩٧/٩/١

توطئـــة :

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، والحمد لله المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل عيب ، الذي له المنة على كل نعمة ، ولهذا كان حمده مدحاً له على تقدسه ، وشكراً له على آلائه ونعمائه .. وهو المستحق وحده للألوهية بالعبودية ، فلا نحصي بالعبودية (مهما أخلصنا واجتهدنا) ثناء عليه سبحانه بِقَدْرِه حق قدره مدحاً ، ولا نقوم بالثناء عليه شكراً ؛ إذ لا نحصي نعمه ، أو نقوم بشكرها حق الشكر .. «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» .

والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد بن عبد الله أعرف الناس بربهم ، وأعبدهم له ، وأرحمهم بالأمة ، وأحرصهم على هدايتها ونجاتها، فجزاه الله عنا خير ما يُجزى نبي ورسول عن أمته .

وصلاة الله وسلامه على آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وصلاة الله وسلامه على أنبياء الله ورسله كافة ، وعلى أصحابهم ومن اقتدى بهداهم .. ومن آمن بمحمد ﷺ واتبعه فبهداهم اقتدى ، ويؤتى أجره مرتين .

واعف اللهم عن كاتبه وارحمه : أن صرف شيئاً من سني العمر ، ونشاطه لأخبار المولهين .. فإن ذلك توسع في المباح ، أو إيشاك على اللمم .. نتفتَّى به لنتقوَّى ؛ ولنثري مأثورنا التاريخي والأدبي بالطرح تمحيصاً وتدقيقاً .

وأقل ما في الأمر أن ذلك حرفة دنيوية كما يصرف البنَّاء والنجار شيئاً من نشاطه وعمره لبناء بيت أو زخرفته ؛ ليكسب قوته ، ويخدم أمته بما تحبه من المباح .. إلا أن حرفتي قلمية فكرية جمالية .

ولن أُضيِّع إن شاء الله نعمة الله عليَّ بالعلم في العزائم والمستحبات .

أما بعد : فإن هذا الكتيب عن ابن لعبون هو الأول من نوعه : خلَّصت فيه ابن لعبون وشعره من ركام المأثور الشفهي العامي حيث الأوهام والتناقض ، وجلوته كما هو بتنصيص نقل ثابت ، أو ضرورة نقل ثابت .

وهذه الحسنى لا تحتاج إلى فضل موهبة ، وإنما هي نتيجة حضور انتباه يجب أن يحضر في كل مأثور شفوي عامي .

والسر في ذلك أن رواة الشعر العامي وجُمَّاعه في الأعم الأغلب حفظوه أو قيدوه ، ولم يقرؤوه أو يتأملوه قراءة وتأملاً ينتجان المضمون كما هو .

وإنما هي قراءة سريعة ، وسماع مقتضب يردُّ مناسبة القصيدة ومدلولها إلى عموم المأثور من الأحداث والمناسبات المتعلقة بتاريخ الشاعر وبيئته دون تحقيق وتدقيق .

خذ مثال ذلك دعوى التهاجي بين ابن لعبون وابن ربيعة بالزبير ، وهذا لم يحصل ألبتة ، وإنما كانا صديقين .

ومن ذلك دعوى أن تهاجيهما الذي حصل بعد خروج ابن لعبون من الزبير كان انتصاراً من ابن لعبون لآل زهير وآل راشد في حين كان ابن ربيعة ينافح عن آل ثاقب وآل سعدون .. وليس هذا بصحيح ، وإنما هجا ابن ربيعة أحد آل سعدون فتعرض بسبب قريب أو بعيد لآل صباح ، فنافح عنهم ابن لعبون ؛ لأنه لاجيء عندهم.

ومن ذلك أن ابن لعبون قال قصيدته :

يا الله عسى مزنٍ سرى يا ابن عايد
موضي بروقه مخلفات المواعيد

وقارضها ابن ربيعة بمثلها ، فتسرع القوم وقالوا إن الشاعرين يتهاجيان .. والواقع أن كل واحد منهما يمدح الآخر .

وقد مُني شعر ابن لعبون وتاريخه (مثل غيره من أعلام المأثورالشفوي) بأخطاء نقلية وأوهام ، وباستدلال غير واع بالنص ، وبأخطاء في تفسيرالنص مفردة وسياقاً.

وتطمح بتحقيق وتدقيق لدى بعض المعاصرين من ذوي السمعة الأدبية فلا تجد إلا الإنشاء العائم المتعمِّل الذي يخفي وراء ه جهلاً وتمعلماً .

إن هذا الشعر العامي – مع عظم نفعه لتاريخنا المطمور ، وفي الدراسات اللغوية ، والبيئية والفنية – مظلوم مظلوم .. لم يُبْدأْ فيه حتى يُفرغ منه .. كثير منه لم يدون .. وما دُوِّن بُلي بالتصحيف والتحريف والتكسير .. وشدا بعض العوام شيئاً من التهجي فراحوا يتصرفون فيه بذوقهم وجهلهم بسياق الشاعر في مجتمعه وأحداث عصره ، وتواريخه الدقيقة .. ومن كان منهم لوذعياً فإنه يتصفح القصيدة فيستخرج من سياقها ومدلولها عناصر ينسج بها قصة للقصيدة والشاعر كما فعلوا كثيراً مع الهزاني، ونمر بن عدوان ، وابن لعبون ، وغيرهم .. وقد ناقشت كثيراً من هذه الظاهرة في كتابي « كيف يموت العشاق » .

والعيب في صنيعهم أن بقية السياق لا يطاوع في نسج القصة المدعاة ، فهو إخلال بكليَّة النص .

وربما تناوله مثقفون فدرسوه ببادئ الرأي .. والبدوات هذه من آفات العلم .. يأتي الأديب مثلاً أو المفكر الذكي فيتناول آية بالتفسير ، ويقول : معنى الآية من وجهة نظري كذا وكذا !!! .. وإنما هي بدوات مثقف ذكي غابت عنه حصيلة النقل ، وملكة التخصص والممارسة .. ومن هؤلاء المثقفين من تناول الشعر العامي بأسلوب أدبي تَعَمَّله ، وعمومات تسوِّي بين مختلفين ، ولا تفرق بين متباينين ، فإذا حصحصته وجدته خواء أدبياً فيه صنعة الإنشاء والتعجرف مع البعد عن حصيلة البحث الدؤوبة ، والبداهة الفكرية المتألقة .

قال أبو عبدالرحمن : ولو رهنت هذا السفر إلى حد الإفضاء بما في ذهني من تتمات لتأخر صدوره أعواماً .. إلا أن ما في الذهن مستدرك في طبعة ثانية إن شاء الله.

ومما قصرت فيه أن الكتاب النفيس « الأمثال العامية في نجد » لشيخنا محمد العبودي غائب عني وأنا في اللمسات الأخيرة من هذا السفر ، وأتوقع أن فيه إضاءات

ثقافية عـند تعـرضـه للأمثال التي استعملها ابن لعبون مثل « ما جاك من وادي سيله » و «كم أدخل الحبس من مظلوم » .

ومما قصرت فيه أن الخروج بحقائق يقينية عن شعر ابن لعبون وحياته يقتضي تأليفات متضافرة متزامنه عن الشاعر عبدالله بن ربيعة ، وعن آل سعدون والمنتفق ، وعن آل زهير وآل أبو رباع من حريملاء وحرمة ، وعن تاريخ ولاة ومتصرفي بغداد والبصرة ، وعن هوية مجهولين كأبي فرحان بندر السعدون ومشاري السعدون (*)، وعن أبيات لابن ربيعة وابن لعبون وصلت إلينا برواية أو روايات لم نستطع فهم معانيها المجملة ودلالاتها.. وكل هذا ليس بقدرتي الآن ، ويجب أن يتوافر له مؤرخ وأديب من العراق .. على أنني اجتهدت في تحصيل ما تصل إليه أداتي الثقافية بسبب بعدي عن مصادري .

وكتابي عن ابن لعبون نموذج لدراسات السير .. وهذا الفرع يُمْنى بأهواء لا حد لها حسب الباعث للتأليف، فقد يكون الباعث خصومة أدبية أو تاريخية أو قبلية ، فيبين الهوى في تلطيخ السيرة وتجهيلها والتجني عليها .. وقد يكون الباعث توافقاً في المذهب والمشرب .. أو عاطفة صداقة وقرابة فتؤول الدراسة إلى تعصب وتفخيم .. ووطنت نفسي توطين من باعثه عشق الحقيقة والخير والجمال .

ونشأت فكرة هذا الكتاب منذ عام ونصف .. منذ أخبرني أخي محمد الشرهان أن الأستاذ الفاضل عبدالعزيز البابطين يهم بإقامة ملتقى عن ابن لعبون .. وظللت – ولا أزال – أنشر في جريدة الجزيرة مباحث عن ابن لعبون تهتم بإزالة أوهام بعض الدارسين والجُمَّاع عن هذا الشاعر وشعره .. وليس غرضي أن أحتفظ بأسرار بحثي حتى ألاقي الملتقى بما لم تأت به الأوائل !! .. وإنما غرضي مساعدة الباحثين ، والاستفادة من آراء المعارضين .

(*) أستدرك على نفسي وأنا أنهي إعداد هذا الكتاب أن مشاري السعدون ليس مجهولاً وإنما هو مثبت ووارد في كتاب «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» للشيخ محمد خليفة النبهاني.

وقد أصل إلى إبطال قضية بيقين ، أو التشكيك فيها برجحان ، ولا أملك الحقيقة البديل بيقين أو رجحان ، فأكتفي بطرح الشك ويقين الإبطال ، وأضع الاحتمالات عن البديل ، وأشرك القارئ معي في المسؤولية ليتمم مسيرتي .

قال أبو عبدالرحمن : على أنني تراجعت عن بعض النتائج التي نشرتها في الجريدة، أو عدلت فيها ، أو أشبعتها ؛ لأن البحث الدؤوب لا يزال ينتج لي جديداً .

والإجماع قائم على أن تدوين الشعر العامي إلى هذه اللحظة يعاني مفاسد الحذف المتعمد ، والتغيير المتعمد ، والحذف والتغيير غير المقصودين مما تذهب معه الدلالة النصية ، وتذهب به اللهجة التي أدى بها الشاعر .. كما أنه يعاني من التصحيف والتحريف في الأصول ، والتطبيع عند الطبع لغفلة المصحح أو عدم أهليته .

ولكن عمل الآخذين بناصية البيان والعلم لا يزال عاجزاً عن معالجة هذه العاهات.. وكثير مما ادعي فيه صحة المعالجة جاء بتمعلم وعاهات جديدة .

قال أبو عبدالرحمن : ولقد قدم لي راوية من المراشدة شريطاً من شعر ابن لعبون رأيت ضمه مع فعاليات الملتقى المنبرية وما يستجد لي من مصادر ؛ لأعمق هذا السفر في طبعة ثانية إن شاء الله .

لهذا كله جاء هذا الكتيب الذي أرجو أن يكون نموذجاً يُحتذى في التعامل مع المأثور العامي ، والله المستعان.

كتبه لكم :

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

ـ عفا الله عنه ـ

الرياض – دارة داوود

ظهر يوم الأحد الموافق ١٤١٦/٣/٣هـ

[ابن لعبونْ مطوعَ القافِ تطويعْ
بانغامِ بوحٍ ذَلَّلوه العشاشيقْ
مسحوبِ وهجينيْ وسامرْ بتنويع
ومْروبعٍ لاهلَ الهوى سحرْ وترنيق (١)
اللي مذهِّلهمْ عجيبَ التطاميع
نوبٍ يفرِّحهمْ بصدق المواثيق
والا يبكيهمْ بصدْ وتمانيع
والكلِّ منهمْ مثلِ عطبَ التفافيق
طربٍ على بلواهْ وقلْ التسانيع
رزقه هباهيبٍ ونومهْ تخافيق
والا يحرسَ النجمِ عند المطاليع
يشكي عليهْ الهم وقل التوافيق
وان بانِ ضوحَ الصبحِ صابهْ بترويع
حيثهْ مضى ليلهْ وشكواهِ بِلْحيق
ابكوا ضحايا المترفاتَ المتاليع
وادعوا لهمْ يا اهلَ القلوبْ المشافيق
والا فانا قد فجَّعَ القلبِ تفجيع
كثر البكى' وْحرَّقَ الخد تحريق (٢)

---

(١) ترنيق : تصفية من كدر .

(٢) لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما جعلت القافيتين مقيدتين ؛ وذلك لمنع رتابة الموسيقى الشعرية .

أبو عبدالرحمن]

الباب الأول

حياة ابن لعبون

[وكانوا يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراء ة ألحاناً من الموسيقى تسمى (المحزن) وهي التي ترقق القلوب إذا سمعت ، وتبكي العيون ، وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاص السرائر وإصلاح الضمايـر .. فهذا كان أحد أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى ، واستعمالها في الهياكل وعند القرابين والدعاء والصلوات .

وكانوا أيضاً قد استخرجوا لحناً آخر يقال له (المشجع) كانت تستعمله قادة الجيوش في الحروب والهيجاء .. يكسب النفس شجاعة وإقداماً .

واستخرجوا أيضاً لحناً آخر كانوا يستعملونه في المارستانات وقت الأسحار .. يخفف ألم الأسقام والأمراض عن المريض ، ويكسر سورتها ، ويشفي من كثير من الأمراض والأعلال .

واستخرجوا أيضاً لحناً آخر يستعمل عند المصائب والأحزان والغموم في المآتم .. يعزي النفوس ، ويخفف ألم المصائب ، ويسلي عن الاشتياق ، ويسكن الحزن .

واستخرجوا أيضاً لحناً آخر يستعمل عند الأعمال الشاقة والصنائع المتعبة مثل ما يستعمله الحمالون والبناؤون وملاح الزواريق وأصحاب المراكب .. يخفف عنهم كد الأبدان ، وتعب النفوس .

واستخرجوا أيضاً ألحاناً أُخر تستعمل عند الفرح واللذة والسرور في الأعراس والولائم ، وهي المعروفة المستعملة في زماننا هذا .

رسائل إخوان الصفاء

[١٨٧/١

[وقد تستعمل هذه الصناعة للحيوانات أيضاً مثل ما يستعمله الجمالون من الحداء في الأسفار ، وفي ظلم الليل ؛ لينشط الجمال في السير ، ويخفف عليها ثقل الأحمال .. ويستعملها رعاة الغنم والبقر والخيل عند ورودها الماء عن الصفير ؛ ترغيباً لها في شرب الماء .. ويستعملون لها أيضاً ألحاناً أُخر عند هيجانها ، للنزو والسفاد .. وألحاناً أُخر عند حلب ألبانها ؛ لتدر .. ويستعمل صياد الغزلان والدراج والقطا وغيرها من الطيور ألحاناً في ظلم الليل .. يوقعها بها حتى تؤخذ باليد .. وتستعمل النساء للأطفال ألحاناً تسكن البكاء ، وتجلب النوم .

فنقول الآن : إن الموسيقى هي الغناء ، والموسيقار هو المغني ، والموسيقات هو آلة الغناء ، والغناء هو ألحان مؤلفة ، واللحن هو نغمات متواترة ، والنغمات هي أصوات متزنة، والصوت هو قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجسام بعضها ببعض .

رسائل إخوان الصفاء

[١٨٧/١ – ١٨٨]

الفصل الأول

حياة ابن لعبون وشعره عند المترجمين والدارسين تحقيقاً وتدقيقاً

تلخيص عناصر من سيرته :

غادر ابن لعبون بلاد نجد إلى الزبير وعمره سبعة عشر عاماً ، وهو من أميز لداته وأبناء جيله ثقافة ؛ لأنه كان حافظاً للقرآن ، متقناً للخط ، متذوقاً للشعر العربي الفصيح .

وشعره شاهد على أنه ملم بالمعلقات ، وبشعر المتنبي والمعري وغيرهم .

ولغته دليل على أنه ذو قراء ة للتراث العربي الفصيح .. وكذلك مطالع قصائده التي يحاكي فيها الشعر الفصيح في بكاء الأطلال .

ذهب إلى الزبير في حالة خوف وجلاء ليستقر في بلد بها وجهاء وزعماء من قومه .

ووجد مجالاً للهو فانغمس في الغرام والغزل والغناء ، وظهر في شعره الغزلي أكثر من واحدة ، ولكن عشقه كان مقصوراً على مي من أجل الحرمان ؛ لأنه لم يتح له مواصلتها ، ولأن كثرة هيامه بها في شعره دليل الحرمان .

ولهذا فهو من جهة مي عاشق لم يصل إلى حد الاصطلام ، أو فقد إحدى القدرتين البدنية أو العقلية [1] .

وهو في شعره الغزلي في غير مي محب فحسب ، متمتع بالوصل ولو لقاء ومحادثة على أقل تقدير .

---

(١) أفضت في بيان علل الحب بكتابي « كيف يموت العشاق ؟ » .

وأصح الأقوال أن مولده سنة ١٢٠٥هـ ؛ لأن ذلك تنصيص أعلم الناس به والده المؤرخ حمد ابن لعبون .

ودعوى أن مولده عام ١٢٠٠هـ من الأوهام .

ومولده بثادق ؛ لأن ذلك تنصيص والده أيضاً .

ودعوى أن مولده بحرمة أو التويم من الأوهام .

وقد تغنى بصباه في ثادق فقال عن أسرته بنجد :

وعلمي بهم قطن على جو ثادق
سقاها مرنات الغوادي ركومها
مرابيع لذاتي وغايات مطلبي
ومخصوص راحاتي بها في عمومها

ورحيله للزبير عام ١٢٢٢هـ ؛ لأن ذلك مقتضى تنصيص والده .

ولم يعد إلى نجد ألبتة منذ غادرها .

ومات سنة ١٢٤٧هـ بالكويت ؛ لأن ذلك تنصيص والده .

ودعوى أنه مات سنة ١٢٤٦هـ مجرد وهم .

ودل شعره والقرائن على أن رحيله من الزبير إلى الكويت سنة ١٢٤٢هـ ، أو سنة ١٢٤٣هـ بيقين ، وكان رحيله في عهد أخو مريم جابر العيش (جابر الأول) بن عبدالله الصباح الذي تولى سنة ١٢٢٩هـ ، وتوفي سنة ١٢٧٦هـ .

وتوفي والد شاعرنا سنة ١٢٦٠هـ .

وقد أجلى ابن زهير شاعرنا من الزبير ، وليس ذلك للخصومات السياسية بين المتصارعين على المشيخة في الزبير من أنصار ابن لعبون وأنصار ابن ربيعة كما يذكر ذلك جُمَّاع الشعر العامي ، بل أجلاه لخلاف شخصي ، أو للهوه ، أو من أجلهما معاً .

ولست أنكر الخصومات على المشيخة ، فقد كان الصراع بين أنصار الشاعر من آل

مدلج وآل راشد وحلفائهم آل زهير المعبر عنهم بأهل حريملاء وحرمة .. وبين أنصار الشاعر ابن ربيعة آل ثاقب ومناصريهم آل سعدون شيوخ المنتفق .. إلا أن ابن لعبون حل في الزبير وقت مشيخة المنتفق ثم آل ثاقب ، وأمور المشيخة مستقرة مدة بقاء ابن لعبون في الزبير ، وإنما حصل الخلاف الذي دفع ابن لعبون إلى هجاء ابن ربيعة في السنة الأخيرة التي غادر خلالها الزبير ، وجلا من الزبير في حكم آل زهير حلفاء قومه.. وحصل خلاف بضعة أشهر من عام ١٢٣٨هـ ، وعام ١٢٤١هـ ، وعام ١٢٤٣هـ .. ولم يكن لهذه الفتن أثر في تكدير صفو الصداقة بين الشاعرين .

ورحل ابن لعبون من الزبير وابن ربيعة من خُلَّص أصدقائه ، وإنما حصل هجاء ابن لعبون لابن ربيعة بعد رحيل الأول من الزبير بقصيدتين .

ولا يوجد في جميع شعر ابن ربيعة الذي وصل إلينا كلمة سب واحدة في ابن لعبون، وذلك خلاف ما يدَّعيه الجُمَّاع .

ولا يوجد في شعر ابن لعبون الذي وصل إلينا كلمة سب واحدة في ابن ربيعة سوى قصيدتيه على قافيتي الراء بوصل الهاء في الأخيرة (فهذه سب فيها ابن ربيعة وأقذع دفاعاً عن صديق له دوسري ، وافتخاراً بابن صباح) وعلى قافيتي اللام بوصل الهاء في الأولى .

وسلسلة نسب الشاعر كالتالي : محمد بن حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج بن حسين .

وحسين الأخير هو أبو علي من أهل أشيقر من بني وهب من الحسنة من عنزة .

ويجتمع مع ممدوحه الزبيري أحمد بن ضاحي في حسين بن مدلج ، إذ هو أحمد بن ضاحي بن محمد بن عون بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حمد بن حسين بن مدلج .

وأحمد من الزعماء في الزبير ، ومن كبار التجار .. مات شاباً ، ومات أبوه ضاحي في بومبي سنة ١٢٦٠هـ .

✱✱✱✱

نص والد الشاعر المؤرخ حمد، والتعليق عليه :

قال المؤرخ حمد بن محمد بن لعبون : « ولحمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الملقب بابن لعبون وَلَدٌ : وهو حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ٠

ولحمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ثلاثة أولاد : محمد الشاعر المشهور، المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥هـ وقت جلوتنا ٠٠ وذلك أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لما ملك بلد حرمة أمر بهدم بعض بيوتها، وقطع بعض نخيلها ٠٠ وجلا بعض أهلها وذلك سنة ١١٩٣هـ ٠

وكان ممن جلا حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ، وعمه فراج وأولاده ، وسكنوا في القصب ، ثم ارتحلوا منها إلى ثادق ، وولد الابن محمد بها كما ذكرنا، وحفظ القرآن ، وتعلم الخط ، وكان خطه فائقاً ، وتكلم بالشعر في صغره، ومدح عمر بن سعود بن عبدالعزيز بقصائد كثيرة [٢] ، ثم سافر

---

(٢) قال الأستاذ ابن خميس في كتابه الأدب الشعبي في جزيرة العرب ص ٣١٨ : « هو عمر بن عبدالعزيز بن محمد المؤسس الأول للدولة السعودية في جزيرة العرب، وعمر هذا هو أحد الأقطاب في دعم الدولة وبنائها ، وله مواقف مشهورة في حرب الأتراك للدرعية ، فكان يسد ثغرة واسعة في الدفاع عن بلاده ٠٠ هي شعيب الحريقة وما جاورها من المتاريس ٠

وله قصر شامخ في حي الطريف لا يزال شامخ البناء رغم عوادي الزمان ، وعوامل التعرية ٠٠ يعرف الآن بمقصورة عمر ٠

قال أبو عبدالرحمن : وورد في عنوان المجد ٧١/٢ أنه عمرو ٠٠ وهو تطبيع٠وورد أنه مات بمصر٠

وقال القاضي في تاريخ نجد ٦٤/١ : « وفي جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ هرب مشاري بن سعود بن عبدالعزيز من مصر ، ووصل إلى الوشم ، وانضم إليه رجال من أهل القصيم وأهل الزلفي وثرمداء وجماعة من سدير والدرعية ، ونزل إليها مختفياً ومعه حملات من الطعام والشراب والأرزاق ، فنزل في بيت إخوانه ، فلما سمع به ابن معمر انزعج وأراد ترحيله ومقاومته في حال الامتناع ، فحاول وعجز ، ولجأ إلى الصلح ، وبايع مشاري بن سعود ، واستقام له الأمر ، وبقي ابن معمر عنده مكرماً مبجلاً ، ووفد إليه أهل سدير ورئيسهم محمد بن جلاجل ، =

قاصداً بلد الزبير وهو ابن سبع عشرة [٣] سنة ، وصار نابغة وقته في الشعر، وله أشعار مشهورة عند العامة ، نرجو الله أن يسامحه ٠

ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧هـ في الطاعون العظيم الذي عم العراق والزبير والكويت ٠٠ هلكت فيه حمايل وقبايل ، وخلت من أهلها منازل ، وبقي الناس في بيوتهم صرعى لم يدفنوا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ٠

= وأهالي حريملا وأهالي الوشم وأهالي الرياض وما حولها ، وبايعوه ، وقام معه تركي بن عبدالله ، وناصره ، وصار عضداً له ، وساعده الأيمن ٠٠ وقدم إليه عمه عمر بن عبد العزيز بن [محمد بن] سعود وأبناؤه عبدالله ومحمد وعبدالملك ، وكان هؤلاء ممن هربوا من الدرعية بعد الصلح المبرم بين عبدالله بن سعود وإبراهيم باشا » ٠

وقال في ٦٦/١ : « وفي عام ١٢٣٦هـ جاء ت قوة من مصر مدداً بقيادة حسين بك ، واتصلوا بقواتهم الأولى، وانضموا إليها ، ونزلوا بثرمداء ، فانضم إليهم جموع كثيرة ممن أجلاهم آل سعود من الأمراء ، ومنهم أمير الرياض ناصر العائذي ، وأمير حريملا حمد المبارك الراشد ، وأمير عنيزة عبدالله الجمعي ، فغزوا الرياض ، وأراد تركي بن عبدالله مقاومتهم ، ولكن خذله الأهالي ، وقالوا له : لا طاقة لنا اليوم به وجنوده ، فدخل الباشا والترك الرياض بدون قتال ، وتترس تركي ومن معه من بني عمه ومن ساندہ بالقصر ، فركبوا المدفعية على القصر وهم يقاومونهم ، فلما كان الليل هرب تركي بن عبدالله من القصر وحده ، فطلب أهل الثغر منهم الأمان فأمنوهم وخرجوا منه وهم سبعون رجلا وفيهم عمر بن عبدالعزيز بن سعود وأولاده الثلاثة ، فغدروا بهم وقتلوهم جميعاً ماعدا عمر بن عبدالعزيز وأولاده فإنهم رحلوهم إلى مصر » ٠

وقال ابن عيسى في تاريخ بعض الحوادث ص ٤٣ : « وكان لسعود بن عبدالعزيز عدة أولاد غير عبدالله المذكور ، وهم فيصل قتل في حرب الدرعية ، وناصر وتركي ماتا قبل أبيهما ، وإبراهيم مات في حرب الدرعية ، وسعد وفهد ومشاري وعبدالرحمن وعمر وحسن ٠٠ نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم » ٠

قال أبو عبدالرحمن : لا تزال الرواية مضطربة : أهو عمر بن عبدالعزيز ، أم عمر بن سعود ابن عبدالعزيز ؟ ! ٠٠ والأرجح أنه عمر بن سعود ؛ لأنه نص ابن لعبون وابن عيسى .

(٣) في الأصل : سبعة عشر ٠

فيكون عمره ٤٢ سنة ، وليس له عقب رحمه الله .

وإخوته زامل وعبدالله ساكنان مع أبيهما في بلد التويم ، وذلك أن إبراهيم باشا لما أخذ الدرعية سنة ١٢٣٣هـ ارتحلت أنا والعم فراج من ثادق ، ومعه أولاده، فسكن العم فراج وأولاده في حرمة ، وأما أنا فسكنت في حوطة سدير ، فلما كان سنة ١٢٣٨هـ ارتحلت بأولادي إلى بلد التويم ، وسكنت فيه وجعلته وطناً ، والحمد لله رب العالمين » [٤] .

قال أبو عبدالرحمن : لم يصلنا شيء من مدائحه للأمير عمر بن سعود .

ويكون سفره إلى الزبير في حدود عام ١٢٢٢هـ مادام مولده سنة ١٢٠٥هـ ، وقد رحل إلى الزبير وعمره سبعة عشر عاماً .

ولم يذكر رحيله من الزبير وتنقله في الخليج ، وإنما ذكر وفاته في الكويت سنة ١٢٤٧هـ .

ونجد حنينه إلى مسقط رأسه ثادق في هذه الأبيات من قصيدة قالها وهو في الزبير قبل مغادرة مي الزبير إلى الديلم .. وعهده بمرابع مي منذ ثمانية أعوام ، وقد رسم طريق سير الناقة من الزبير إلى ثادق فقال :

إلى سرتها من دار مي وغربت
ونابك من طفاح نجد خشومها
اول مواري دارهم لك جلالة
حاشا الاله وباقي الدار زومها
علمي بهم قطن على جو ثادق
سقاها مرنات الغوادي ركومها

---

(٤) تاريخ ابن لعبون ص ١٠٩ – ١١٠ عن مجلة العرب ، وتاريخ ابن لعبون ص ١٠٩ – ١١٠ ط م المدني .

مـرابـيع لـذاتي وغـايـات مـطـلـبي
ومـخـصـوص راحـاتي بـهـا في عـمـومـهـا
مـنـازل مي شـعـبث الـبـين حـيـهـا
وهـبت ثـمـان سـنـين فـيـهـا حـسـومـهـا

قال أبو عبدالرحمن : ارتحال ابن لعبون الأب من ثادق كان سنة ١٢٣٣هـ، وقصيدة ابن لعبون سنة ١٢٣٥هـ ، فهو لا يعلم عن أحوال أسرته بنجد شيئاً .

نص الشيخ ابن بشر والتعليق عليه :

وقال ابن بشر عن وباء سنة ١٢٤٧هـ : « وفي هذا الطاعون مات رئيس الزبير علي بن يوسف الزهير .. وفيه أيضاً توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد ابن محمد بن لعبون المدلجي الوايلي .. مات في بلد الكويت ، وكان شعره جيداً ، إلا أن فيه تخبيطاً [٥] في العقيدة ، وقيل إنه أنشأ قصيدة تاب فيها ، وتضرع إلى الله » [٦] .

قال أبو عبدالرحمن : شعر ابن لعبون الذي وصل إلينا ليس فيه تخبيط في العقيدة ، وإنما هو لهو أدباء [٧] ، وفيه قليل من المؤاخذات الشرعية مما ذكرته بآخر فصول الكتاب .

نص الأستاذ خالد الفرج والتعليق عليه :

وقال الأستاذ خالد الفرج : « أبوه حمد ابن لعبون من أدباء نجد ونبهائهم ، وقد ولي بيت مال سدير في عهد الإمام سعود الكبير وابنه عبدالله ، وله تاريخ نجد مطبوع باسم تاريخ ابن لعبون ، وقد طبع ناقصاً أوله » [٨] .

---

(٥) في الأصل : تخبيط .

(٦) يعني قصيدته اللامية « زل دهرك يا محمد بالغزل » ، وقد قالها آخر أيامه بالكويت.

(٧) نص ابن عيسى، انظر: عنوان المجد ٨٤/٢ ، وانظر تاريخ بعض الحوادث ص ٥٩ ، ولم يذكر دعوى التخبيط .

(٨) قال أبو عبدالرحمن : طبعه شيخنا حمد الجاسر بمجلة العرب ، ثم طبع كاملاً بكتاب مستقل.

وولد شاعرنا في حرمة ، ولا نعلم سنة ميلاده ، ونشأ في حضن أبيه الأديب وتثقف ، وتدل أشعاره على أنه متضلع في الأدب العربي ، وقد اقتبس كثيراً من معاني الشعراء الأولين ، ولكنه سبكها في قالب جميل قد يفوق المأخذ الأول ٠٠ من ذلك قوله :

ضحكتي بينهم وانا رضيع

ما سوت بكيتي يوم الوداع

أخذه من قول المعري :

إن حزناً في ساعة الموت أضعاف

(م) سرور في ساعة الميلاد

ولكن ابن لعبون قد لطف معناه حتى استحقه ٠

ومن ذلك قول مسكين الدارمي :

أو كعبد السوء إن جوعته

سرق الجار وإن يشبع فسق

أخذه ابن لعبون بقوله :

والعبد عبد هافيات عموقه

إن جاع باق عمومته وان شبع ماق

والذي يتذوق الشعر العامي يفضل بيت ابن لعبون على بيت مسكين ٠

وله كثير من الاقتباسات والتضمينات سنتكلم عليها في مواضعها[٩] ٠

---

(٩) قال أبو عبدالرحمن : تأتي دراسة كل ذلك إن شاء الله في الفصل الرابع من الباب الثاني .

نشأ ابن لعبون في عصر اشتداد الدعوة الدينية بعد قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وكان في طبعه ميالاً إلى اللهو والبطالة ، فلم توافق له تلك البيئة [١٠].

ومن المدلج في الزبير آل عون ورئيسهم الشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد لهما الرئاسة والشرف والغنى ٠٠ وآل عون رؤساء أهل حرمة الجالين إلى الزبير ، فقدم ابن لعبون إلى الزبير وكان عصره عصر الفوضى والتنافس على الرئاسة في الزبير بين آل ثاقب الوطبان يناصرهم السعدون ، وبين أهل حريملا وحرمة يناصرهم ابن زهير [١١]، وشاعر آل وطبان عبدالله بن ربيعة ٠٠

---

(١٠) هذا يوحي بأن حياة البطالة واللهو أخرجته من نجد ، وهذا محتمل ، ويؤيد ذلك قصة بيتين على الكاف يأتيان إن شاء الله في نص الدكتور ابن لعبون ٠٠ وأكثر من ذلك احتمالاً أن الأحداث التي أخرجت والده من حرمة إلى القصب ثم إلى ثادق هي التي نزحت به إلى الزبير ٠

(١١) جاء ابن لعبون إلى الزبير والإمارة لآل وطبان لإبراهيم بن ثاقب ، ثم لابنه محمد إلى أن جاءت أحداث سنة ١٢٤٢هـ ٠

إذن لم تحصل الفوضى التي سببت هجاء ابن لعبون لابن ربيعة إلا بعد خروج ابن لعبون من الزبير بعد إقامة بلغت عشرين عاماً ٠

قال الأستاذ محمد بن سعد الرقراق : « كانت معظم مناطق العراق الجنوبية بعهدة أمراء المنتفق آل سعدون ، فلما استقر الأمر في الزبير وأمن الناس خطر الغزو الخارجي أسند الشيخ حمود الثامر أمير المنتفق مشيخة الزبير إلى إبراهيم بن ثاقب بن وطبان ، وذلك في عام ١٢١٣هـ الموافق ١٧٩٨م ، واستمرت مشيخته على الزبير إلى أن قتل في سنة ١٢٣٧هـ الموافق ١٨٢١م ، وهو أول قتيل من حكام الزبير ٠

وبعد مقتل إبراهيم بن ثاقب بن وطبان تولى مشيخة الزبير بعده ابنه محمد بن إبراهيم بن ثاقب ، وكان حازماً عاقلاً غير أن الأمور لم تستتب له أكثر من ستة شهور ، وحصل بينه وبين آل زهير ضغائن من أهم أسبابها أنه اتهم آل زهير بمقتل والده ، فحصلت بينهم عدة معارك انتهت بترك محمد بن ثاقب الزبير والتجائه إلى الشيخ حمود بن ثامر ، وذلك في سنة ١٢٣٨هـ الموافقة ١٨٢٢م ٠ =

= وبعد ترك محمد بن إبراهيم بن ثاقب مشيخة الزبير سنة ١٢٣٨هـ الموافقة ١٨٢٢م انتخب أهالي الزبير يوسف بن يحيى آل زهير شيخاً عليهم ، وكان يوسف المذكور من ذوي الثروة والجاه الكبير في البصرة ، وقد أقر أعلى حاكم إداري للمنطقة يسمى متسلم البصرة كاظم أغا ذلك ، فأثار هذا ضغينة محمد الثاقب الذي كان يظن أنه يستطيع دخول الزبير على حين غرة ؛ ليداهم يوسف آل زهير على غفلة، ولما قدم بقواته علم بما قام به يوسف آل زهير من الاستعداد ، فتيقن لديه أنه لا يستطيع إرغام يوسف على الاستسلام ، فأمر رجاله بدخول البلدة ومهاجمة دار يوسف آل زهير والاستيلاء عليها بالقوة ، ولما هوجمت الدار قابلهم رجال يوسف بالرصاص حتى اضطروهم إلى الرجوع على أعقابهم، ثم طاردوهم حتى أخرجوهم من البلدة ٠٠ جرت كل هذه الأمور والشيخ حمود بن ثامر لا علم له بها ؛ لأنه كان يتجول في البادية ، ولما عاد إلى مقره وعلم بذلك أخذ باستمالة يوسف آل زهير والتودد إليه ، وصارا يتزاوران حتى تمكن من إلقاء القبض عليه وعلى بعض وجوه الزبير الذين يؤيدونه ، وأسند مشيخة الزبير مرة ثانية إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بن ثاقب ، وكان ذلك في سنة ١٢٣٨هـ الموافق ١٨٢٢م ٠

أما الشيخ يوسف آل زهير فقد توفي في سجنه سنة ١٢٣٩هـ الموافقة ١٨٢٣م، وعندئذ أطلق الشيخ حمود سراح الباقين وأمرهم بالعودة إلى الزبير ٠

عاد الشيخ محمد بن إبراهيم بن ثاقب إلى مشيخة الزبير للمرة الثانية ، وقد تمكن من إدارة المشيخة على الوجه الأتم إلى عام ١٢٤١هـ الموافق ١٨٢٥م ، ثم جرى بينه وبين بعض أهالي الزبير خلاف ٠٠ وسبب ذلك الخلاف أنه لما توفي يوسف آل زهير في سجن الشيخ حمود خلَّف عشرة من الأولاد أكبرهم علي آل زهير الذي لم يزل يحاول الأخذ بثأر أبيه والانتقام من محمد الثاقب ؛ لاعتقاده بأنه هو السبب المباشر في موت أبيه ، فأخذ يحرك أهالي الزبير للثورة ضد شيخها حتى ثاروا عليه وأخرجوه من الزبير، فاضطر للسفر إلى الكويت ملتجئاً إلى الشيخ جابر الصباح حيث أقام هناك ٠

واختلفت الأحوال السياسية بالزبير بعد خروج محمد الثاقب منها ، واختلف الأهلون فيمن يولونه أمرهم ، فأشار عليهم علي باشا بن يوسف آل زهير بتعيين ناصر بن ناصر آل راشد شيخاً عليهم ، وكان ناصر من مؤيدي سياسة آل زهير ٠٠ وفي سنة ١٢٤١هـ الموافق ١٨٢٥م أصبح ناصر المذكور شيخاً على الزبير ، وكان القول والتدبير بيد علي باشا آل زهير ، وكان غرض علي من هذا الترشيح تهدئة الرأي العام ، واطمئنان الناس حتى تحين له الفرصة ؛ ليعلو كرسي المشيخة هو بنفسه ، وظل ناصر آل راشد شيخاً على الزبير حتى قتل سنة ١٢٤٣هـ الموافقة ١٨٢٧م ٠ =

= قال أبو عبدالرحمن : كانت مشيخة الزبير لجده يحيى بن زهير أول شيخ للزبير ، وقد استمر إلى سنة ١٢١٣هـ .

وقال الدكتور عبدالعزيز ابن لعبون في كتابه أمير شعراء النبط محمد بن لعبون ص ٥١-٥٣: « يعد الشيخ يحيى بن محمد بن زهير أول من اعتلى سدة الحكم في الزبير وذلك سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) ، وذلك بدعم ومساندة من والي العراق العثماني في بغداد (سليمان باشا) ، وكان متسلم البصرة آنذاك عيسى بك المارديني ، وعندما تعرض بلد الزبير والبصرة إلى تهديدات خارجية ، واضطرب الأمر : قام حمود بن ثامر آل سعدون أمير قبائل المنتفق المتنفذة في جنوب العراق بتنصيب إبراهيم بن ثاقب بن وطبان شيخاً على الزبير ، وذلك في سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) ، واستمر إبراهيم في حكمه حتى قتل سنة ١٢٣٧هـ (١٨٢١م) ، وقد تعاقب على متسلمية البصرة خلال تلك الفترة كل من عبدالله آغا ، وبكر آغا ، ومحمد كاظم آغا .

أما ولاة العراق فكانوا سليمان باشا ، وسليمان باشا الفتيل ، وداوود باشا .. وبعد مقتل إبراهيم بن ثاقب تولى ابنه محمد مشيخة الزبير لمدة قصيرة لم تتجاوز الأشهر الستة .. اضطربت خلالها البلد ، ونشبت صراعات بين آل ثاقب وآل زهير انتهت بفرار محمد بن إبراهيم بن ثاقب من الزبير والتجائه إلى الشيخ حمود بن ثامر آل سعدون .. وبانتخاب أهل الزبير وبدعم من متسلم البصرة محمد كاظم آغا : تولى يوسف بن يحيى بن زهير مشيخة الزبير ولشهور قليلة ، وذلك سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٤م)..وبعد فشل محمد بن ثاقب في استرداد سلطته من آل زهير بالقوة استعان بالشيخ حمود الذي تمكن وبخديعة من إلقاء القبض على شيخ الزبير يوسف بن زهير ومؤيديه وأودعهم السجن ، وأعاد تنصيب محمد بن ثاقب شيخاً على الزبير في السنة نفسها ١٢٣٨هـ .. أما يوسف بن زهير فقد توفي في سجنه سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م) .

اتهم ال زهير الشيخ محمد بن ثاقب بقتل الشيخ يوسف ، فثار أهل الزبير على محمد بن ثاقب مما اضطره للهرب إلى الكويت ملتجأ بالشيخ جابر العبدالله الصباح ، وذلك في سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٤م) .. جرت هذه الأحداث على مرأى ومسمع من الدولة العثمانية التي كان واليها على العراق وقتذاك داوود باشا ، وتعاقب على متسلمية البصرة خلال تلك الفترة كل من كاظم آغا ، وعزيز آغا .

اضطربت الأحوال السياسية بالزبير ، وبدعم من علي بن يوسف بن زهير قرر أهل الزبير تولية ناصر بن ناصر بن راشد المشيخة وذلك سنة ١٢٤١هـ ، وكان الحاكم الفعلي وقتها الشيخ علي بن زهير .. استمر الشيخ ناصر في الحكم حتى مقتله سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) على يد محمد بن فوزان =

وابن لعبون شاعر أهل حرمة وأشياعهم ، وهذا ما أثار المهاجاة بين الشاعرين ٠

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ففيهما تتجلى مناقضات جرير والفرزدق ٠

وابن لعبون كجرير في دقة ألفاظه ، ونفاذ طعناته ، فهو يحز على المفصل ٠

وكالفرزدق عبدالله بن ربيعة متانة لفظ ، وسبك ديباجة ، مع الرصانة وعدم الفحش ، وسنأتي بفذلكة عن هذا التنازع في ترجمة ابن ربيعة ٠

وبعد فقد كان ابن لعبون زير نساء ، وحليف مزهر ومزمار ٠

وله الألحان اللعبونية لا يزال يغنى بها في كافة بلاد ساحل الخليج الفارسي٠

وفي أواخر أيامه تغلب ناصر الراشد على الرئاسة وقتل محمد الثاقب [١٢] ،

= السميط نتيجة خلاف أدى إلى فتنة بين آل سميط من رؤساء أهل حرمة وآل راشد من رؤساء أهل حريملاء ٠

تولى جاسر بن فوزان السميط مشيخة الزبير ولدة قصيرة حيث لم تستقر له الأمور ، فقد قدم آل راشد يساندهم آل زهير من البصرة فحصلت معركة مع أهل الزبير، وتدارك الأمر سراة القوم ، وعقدوا صلحاً بين الطرفين ٠٠ وبعد مدة أراد آل راشد وآل زهير نقض العهد ، ولم يتمكنوا ، فلجأوا إلى الخديعة من خلال متسلم البصرة عزيز آغا بعد أن أوغروا صدره على شيخ الزبير جاسر بن فوزان السميط ٠٠ وعندما استدعى عزيز آغا الشيخ جاسر بن فوزان إلى البصرة للتشاور اصطحب عدداً من أتباعه من أهل حرمة منهم أحمد بن ضاحي بن عون وعودة بن إبراهيم وسليمان بن فداغ ، وما أن تمكن المتسلم من جاسر وجماعته حتى اعتقلهم وأمر بقتل جاسر ، وعذب جماعته ، وفرض عليهم غرامات مالية ، ونهبت دورهم ، فهاجر بعضهم إلى الكويت ٠

تولى علي بن زهير وبدعم من متسلم البصرة عزيز آغا مشيخة الزبير في سنة ١٢٤٣هـ واستقرت الأحوال بالزبير حتى سنة ١٢٤٧هـ (١٨٢١م) حين مات علي بن زهير بوباء الطاعون الذي عم المنطقة » ٠

(١٢) قال أبو عبدالرحمن : الذي قُتل إبراهيمُ والدُ محمد عام ١٢٣٨هـ قبل ولاية ناصر بسنوات ، ومات ابن لعبون ومحمد بن ثاقب على قيد الحياة ٠

ففرابن لعبون إلى الكويت والبحرين ، وتوفي في الكويت بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ .

أما أسلوبه فهو مزدوج بين لهجة أهل نجد ولهجة أهل الساحل ، فصار مقبولاً عند الطرفين .

كما أن تضلعه بالأدب العربي جعله يستعمل أنواعاً كثيرة من البديع مما سنشير إليه في مواضعه .

ورد في شعره ذكر الشيب وأنه بلغ ستاً وأربعين سنة [١٣] على أن أباه عمر بعده طويلاً [١٤] .

قال أبو عبدالرحمن : لم يقتل محمد الثاقب باستيلاء ناصر الراشد ، بل عاش بعد ذلك أعواماً ، وتولى السلطة مراراً .

ولم يفر ابن لعبون لهذا الحدث ، وكيف يفر والمنتصر ابن عمه ؟ .. وإنما أخرجه حليفهم صاحب السلطة الحقيقية ابن زهير .

ومقارنة الشاعرين بجرير والفرزدق من الرمي في الهواء .

ولم يولد ابن لعبون في التويم ولم يرها ، وإنما نزلها والده بعد رحيله من ثادق عام ١٢٣٨هـ .

نص الشيخ القاضي والتعليق عليه..ونص القاضي الابن والتعليق عليه:

ومن الخلط في حياة ابن لعبون هذا النص للشيخ صالح بن عثمان القاضي.. قال : « محمد بن حمد بن لعبون من باهلة ، من الشعراء البارعين ، توفي بالكويت في سنة وبائية ، وقد أسلفنا ذلك في التاريخ .

وهو من أهل نفي ، ويقال إنه خرج من الكويت مريضاً ووصل نفي ، ومات بها عقب وصوله بيومين وذلك عام ١٢٤٧هـ .

---

(١٣) قال أبو عبدالرحمن : لم أجد هذا الشاهد في المتيقن من شعره .

(١٤) ديوان النبط ص ٦٧ – ٦٩ .

وأسلفنا سبب تسميته بلعبون ، وذلك لاسترخاء شفتيه وسيلان لعابه [١٥].

وقال : وفي عام ١٢٤٦هـ وقع وباء عظيم في العراق والحجاز ونجد وممن توفي فيه الشاعر الشعبي محمد بن حمد بن لعبون ويأتي له ذكر » [١٦] .

قال أبو عبدالرحمن : ابن لعبون عنزي لا باهلي ، ولا علاقة له بنفي ، ولم يمت بها .

وتصفحت كل ما سبق من كتاب القاضي – بل تصفحته كله – فلم أجده ذكر ما أحال إليه عن سبب التسمية بلعبون .

ووفاة ابن لعبون سنة ١٢٤٧هـ ، وليست في سنة ١٢٤٦هـ .

وورد خطأ في وفاة والد ابن لعبون عند حفيد المؤرخ الشيخ محمد بن عثمان ابن صالح القاضي فقال : « اللعبون من وائل بحرمة ، ومن أبرزهم الشيخ حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون المتوفى سنة ١٢٤٨هـ تقريباً ، وهم من آل مدلج ، واشتهر الشيخ حمد في عصره بالعلم والتاريخ والأدب ، وله تاريخ حافل .

وابنه هو الشاعر الشهير محمد بن حمد بن لعبون من الشعراء الشعبيين توفي سنة ١٢٤٧هـ » [١٧] .

---

(١٥) تاريخ نجد وحوادثها ٩٢/١ .

(١٦) تاريخ نجد وحوادثها ٥٧/١ .

(١٧) منهاج الطلب ص ٩١ .

نص الأستاذ الحاتم ، والتعليق عليه:

وقال الأستاذ عبدالله بن خالد الحاتم : « فمن شعراء الحضر الشاعر الكبير النابغة محمد بن لعبون المدلج الوائلي المولود سنة ١٢٠٠هـ في تويم من نجد ، والمتوفى [١٨] سنة ١٢٤٦هـ بالطاعون في الكويت .

هذا الشاعر يعتبر بين شعراء الحضر في الطليعة ، وممن [١٩] يسمح لهم في الجلوس على القمة .. وقد قال فيه أحد شعراء الأحساء هذه الجملة : « غير ابن لعبون كلهم يلعبون » .

وهذا القول مبالغ فيه إلى حد بعيد ؛ لأن الشاعر ابن ربيعة (وهو من المعاصرين له) يمتاز عليه في كثير من الأحوال .. منها ضبط المعاني بإصابة الهدف ، وقوة الرابطة بين الأبيات ومتانتها ، وحصر المعنى وتوجيهه ، ومهارته باختيار الألفاظ الملائمة للعموم .. فيعتبره سكان البادية شاعراً بدوياً ، ويعتبره سكان الحضر شاعراً حضرياً ، فنجد كثيراً من سكان البادية يهتمون بشعره ، ويحفظونه .. على عكس ابن لعبون الذي لا نرى له أثراً عندهم [٢٠] .

وهذه الميزة التي حصل عليها ابن ربيعة هي كنتيجة [٢١] لكثرة مخالطته في البادية ، وقلة استقراره بالمدن ؛ فلذا أصبح ابن ربيعة شاعراً بدوياً ، وشاعراً حضرياً .

عاش ابن لعبون معظم حياته في بلدة الزبير بين أبناء عمومته وجماعته ،

---

(١٨) واو العطف لحن في مثل هذا السياق ؛ لأنها عطف صفة على موصوف.

(١٩) في الأصل : منهم من .

(٢٠) قال أبو عبدالرحمن : ولهذا لا تجد الشاعر عبدالله اللويحان يورد شيئاً من شعر ابن لعبون في مجموعته .

(٢١) الصواب بدون كاف التشبيه ؛ لأن المراد حقيقة الوصف لا المقاربة بالتشبيه .

فهو شاعر أهل حرمة الذين جلوا إليها ، ورئيسهم الشيخ ضاحي بن عون ، ثم خلفه ولده أحمد بن ضاحي بن عون .

والوطبان ومنهم آل ثاقب ، والسعدون ومنهم بندر السعدون ، والشيخ فرحان، وشاعرهم ابن ربيعة ، فمن هذا حدث التنافس بين الشاعرين ، وتبادلا الهجاء المر ، ولكن ابن لعبون أوغل في السب والهجاء من غير تعقل » [٢٢] .

قال أبو عبدالرحمن : التاريخان اللذان ذكرهما للولادة والوفاة خاطئان .

وشعر ابن ربيعة أجود وأقوى في بعض الأحوال ، والعكس صحيح أيضاً ، ولكن شهرة ابن لعبون ؛ لنبوغه المبكر ، ولأنه بهر القوم بمعان وألفاظ من الفصيح ، ولأنه من شعراء العشق ، ولأنه ولَّد ألحاناً نسبت إليه .

ولسنا نجد في شعر ابن لعبون تميزاً في الإقذاع ، ولسنا نجد في شعر ابن ربيعة هجاء لابن لعبون ألبتة .

وقال الأستاذ الحاتم : « قد قلنا في بحثنا عن الشاعر ابن لعبون : إن ابن ربيعة شاعر لأهل البادية والحضر على السواء على عكس ابن لعبون الذي هو شاعر لأهل الحضر فقط .

والناس على اختلاف فيما بينهم حولهما ، فمن الناس من يرى معنا هذا الرأي، ويرون أن شعر ابن ربيعة واقعي نزيه ، بل كله حقائق ملموسة ، ومفهوم من العام والخاص (البدوي ، والحضري) لخلوه من الألفاظ الدخيلة ، والمصطلحات الملوء شعر ابن لعبون بهما [٢٣] .

ومنهم من يفضل ابن لعبون ويطلق هذا التفضيل إطلاقا لاعتبارات أهمها

---

(٢٢) خيار ما يلتقط ٣٠٩/١ – ٣١٠ .

(٢٣) قال أبو عبدالرحمن : وفي شعر ابن ربيعة غموض لم أستبن بعد هل هو منه ، أو من سوء الرواية والتدوين .

أن ابن ربيعة لم يستطع رد هجمات ابن لعبون وتشنيعه ٠٠ بيد أنه من اللازم الرد عليه والدفاع عن نفسه وعشيرته خصوصاً إذا كان المهاجم كابن لعبون ٠

وفي الحقيقة إن هذه النظرية بها شيء من الخطأ ، وهو أنه لا يوجد اليوم من شعر ابن ربيعة إلا القليل الذي لا تتجاوز قصائده العشرين قصيدة ، ومعظمها ناقص ؛ لأن جميع أشعاره (وتقدر بثلاثة أكياس كبيرة ومملوء ة) أحرقت بعد موته، والذي أحرقها ابنه محمد ، ولما سئل لماذا أحرقها قال : إنه حديث الشيطان٠

وهذه القصة رواها لي أحد المعمرين في بلدة الزبير وهو من أقارب الشاعر ، فإذا كان والحالة هذه فكيف نحكم على ابن ربيعة : أنه لم يستطع الرد على ابن لعبون ٠٠ هذا هو رأينا حول ابن ربيعة » [٢٤] .

قال أبو عبدالرحمن : جمهرة شعر ابن لعبون محفوظة مدونة منذ رحيله إلى الزبير في صباه ، وقد حفظ شعره من الضياع غنائيته ، والوسط الفني الذي يحنو عليه ، وإنما ضاع شعره وهو صبي في نجد قبل أن يرحل منها ، فلم يحفظ لنا الرواة بيتاً واحداً من مدائحه للأمير عمر بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود رحمهم الله٠

وقال الأستاذ عبد الله الخالد الحاتم عن مي : « مي اسم وهمي للحبيب يختفي وراء ه الاسم الحقيقي ، ويروى أن اسمها الحقيقي هيلة لمطابقة الاسمين على حروف الأبجدية بالأرقام ، فمي خمسون ، وهيلة كذلك ٠

وثمة دليل آخر هو قوله :

والله لولا الحيا واللوم
لاصيح واقول يا هيلة

---

(٢٤) خيار ما يلتقط ٢/٤٩ – ٥٠ ٠

وقد ذكر هذا الاسم في أكثر من موضع من شعره ٠

وهيلة موضع قرب الزبير قال :

حـي المـــنـــــازل شـــــمـــــال اطـــلال

شـــرق الـــعـــقـــيـــلـــــة إلـى هـــيـــلـــــة [٢٥]

نص الأستاذ محمد سعيد كمال، والتعليق عليه:

وقال محمد سعيد كمال : « هيلة محبوبة ابن لعبون ، ودائماً يكنى عنها باسم مي؛ لأن الاسمين يساويان ٥٠ بحساب جُمّل أبجد [٢٦] ٠٠ وكانت زوجة لأحد أمراء المنتفق ، ولما مات خطبها ابن لعبون فلم يزوجوه إياها لتهتكه ، وزوجوها أحد تجار العرب القاطنين في بلدة ديلم من إيران على الحدود العراقية ٠٠ وكانت ديلم يومئذ يحكمها عرب من قبيلة الخليفات ، وأكثر سكانها عرب قبل استيلاء إيران عليها[٢٧].

قال أبو عبدالرحمن : الهاء خمسة ، والياء عشرة ، واللام ثلاثون ، والهاء خمسة ، فتلك حروف هيلة ، وجميعها خمسون ٠

نص الأستاذ عبد الله الزامل، والتعليق عليه:

وتكلم عن ابن لعبون الأستاذ عبدالله الزامل رحمه الله [٢٨] بأسلوب إنشائي لا يصطفي الغربال منه إلا القليل مما يمكن فهمه وتحصيله ، ثم لا يخلو

---

(٢٥) خيار ما يلتقط ٣١٠/١ ٠

(٢٦) الصواب : بحساب الجمَّل « أبجد ٠٠ إلخ » ٠

(٢٧) الأزهار النادية ٧٨/١٠ ٠٠ قال أبو عبدالرحمن : لعلهم لم يزوجوه لأنه كان فقيراً عقيماً، فقد عاشت معه زوجته التي رثاها خمسة عشر عاماً ، ونص والده على أنه لم يعقب ، ولأنه أكثر التشبيب بها ٠

(٢٨) انظر من الأدب الشعبي ص ٦٠ – ٦٤٠

من الخطأ والوهم كالزعم بأن مولده بحرمة أو التويم ، وأنه ولد سنة١٢٠٠هـ ، وكدعوى أن قصيدة له على ثلاثة أوزان وأربع قواف ، وهي قوله :

مـــالـــــون يـــا قـــلب دوى - بـه جـــراحي

بـــهـــداك لي مـــا تـــرعـــوي قـــول نـــصـــاح

قال أبو عبدالرحمن : تعددت القوافي داخل كل بيت ، وأما الوزن فواحد ، وهو وزن لحن المسحوب المحور عن الطويل ، وإنما البيت الواحد يقبل التجزئة ، فيصدر عنه بيت آخر بوزن آخر ، وقافية مستقلة ٠٠ ولا يقبل وزناً ثالثاً بأي تجزئة ٠

والوزن الواحد يقبل أكثر من لحن دون تجزئة ٠

نص الأستاذ الزركلي:

وذكر الزركلي أن لعبوناً لقب جده عثمان ، ومصدر ترجمته عنده ديوان النبط لخالد الفرج ، والناقص من تاريخ ابن لعبون عن طريق الشيخ حمد الجاسر [٢٩].

نص الأستاذ ابن خميس والتعليق عليه:

وقال الأستاد ابن خميس : « هو محمد بن حمد ابن لعبون المدلجي الوائلي النجدي ٠٠ كان مشهوراً بجودة شعره الشعبي ، وبلاغته وتفننه في ضروب هذا اللون من الشعر ٠٠ ولد في حرمة من بلاد نجد ، ونشأ شاباً غزلاً جميلاً ، فعاتبه أبوه على هذا الخلق ، فرحل إلى الزبير من بلاد العراق ، ومدح أميرها ابن زهير ثم هجاه ، وانتقل بعدئذٍ إلى الكويت ، ومات فيها بالطاعون » [٣٠] .

---

(٢٩) الأعلام ١٠٩/٦، وانظر معجم المؤلفين لكحالة ٢٦٧/٣ – ٢٦٨ ، ولم يزد على ما أورده الزركلي ٠

(٣٠) تاريخ اليمامة ٤٩٣/٥ ٠

قال أبو عبدالرحمن : لا نعلم في شعره الذي وصل إلينا قصيدة في مدح ابن زهير ، ولا نعلم مصدراً ذكر أن رحيله إلى الزبير بسبب عتب والده عليه ٠

نص الأستاذ الزير والتعليق عليه:

وقال الأستاذ عبدالله بن ناصر الزير : « ويكفي أن نعرف أن ابن لعبون وابن ربيعة أشهر شاعرين في الجزيرة العربية، وقد كان في عصرهما شعراء كثيرون ، ولكن شهرة هذين الشاعرين غطت على غيرهما إلى يومنا هذا ٠

وبعد مرور أكثر من قرن ونصف القرن على وفاة ابن لعبون لازال أهل الجزيرة العربية والخليج العربي يتغنون بأشعار ابن لعبون ، بل إنه ابتكر ألحاناً معينة لاتزال باسمه، فيقال : خماري ، ولعبوني ٠٠ هي نفس الأشعار التي نظمها ، والألحان التي أبدعها ٠

وما الأدب الشعبي في الزبير إلا وليد الأدب الشعبي النجدي الوطيد ، فجميع الشعراء الذين قالوا الشعر في الزبير كان آباؤهم وأجدادهم أصلاً من أبناء نجد ؛ لأن الركبان التي تسير بشعر شعراء يأتون للزبير ، ويساجلون أقرانهم من شعراء الزبير ، أو يَسمعون منهم أو يُسمعونهم ، فحميدان الشويعر لبث برهة في الزبير ، ولما طلع إلى نجد خلّد سيرته هذه بقصيدة عصماء بقيت تتحدث عنها الركبان ، ويتناقلها حفيد عن [حفيد] » ٠٠ ثم أشار إلى قول حميدان :

ظـــهـــرت مـن الحـــزم الـــلي بـــه
ســـيـــد الـــســـادات مـن الـــعـــشـــرة
حـــطـــيت ســـنـــام بـــالـــيـــمـــنى
ووردت الـــرقـــعـي مـن ظـــهـــره

ثم قال : « وابن لعبون ولد في حرمة ، ونشأ في الزبير ، وقال أجود شعره في بلد ابن العوام ، وهو يحيي المنازل شمال الكوت ، أو بديم خزام ، أو بالخابور، أو المنازل الواقعة يسار قبه حسن ، ويمين عن قبة طلحة ٠٠ وقد أبدع بشعره ،

وكأنه يسير على خطى المتنبي حتى قيل عنه : جميع الشعراء غير ابن لعبون يلعبون.

وأرض الزبير خصبة للشعر والخيال ، ولها ميزات كثيرة تميزها عن بلاد الله الواسعة ، فشروق شمسها وغروبها لها ميزة إن صفا الجو الذي يضفي على ميزة[٣١] الشمس ما يشحذ قريحة الشاعر :

ياسنين لي مضت مثل الحلوم
كنهن في ديرة ابن العوام عام
هل غريم الشوق يشبع منك يوم
شبعة المسكين بايام الصرام » [٣٢]

وقال : « هو محمد بن حمد ابن لعبون المدلجي الوائلي ولد في بلدة ثادق من مقاطعة سدير في نجد سنة ١٢٠٥هـ .. ثم كرر ما قاله ابن فرج إلى أن قال : «إيماناً [٣٣] بأهمية التراث الشعبي الزبيري ، وما يحتله شاعرنا ابن لعبون من مكانة كبيرة مرموقة يقدر أهميتها عشاق الشعر الشعبي رغم مضي أكثر من قرن ونصف القرن من الزمن على وفاته .

وقد تذوق الأدب وعني به ، ولكن ولعه بالشعر النبطي والأدب الشعبي [كان] سبباً في نبوغه وبروزه في هذا الميدان .. حتى أصبح شاعر الهوى والشباب .. يسيل شعره رقة وعذوبة وسلاسة وملاحة ، وقد أبدع في الناحية الغزلية وأمتع، وأصبح زعيم هذا الاتجاه وحامل رايته .

---

(٣١) في الأصل : ثمرة .

(٣٢) جواهر الكلام ص ٣ – ٤ .

(٣٣) لم يأت بالجملة الخبرية التي عللها بقوله : « إيماناً » .

وقد أدخل على أدوار السامري أصواتاً وأنغاماً عجيبة سميت باللعبونيات ، وكان لها شأن في التلحين والغناء ٠٠ عني بتسجيلها وغنائها أهل الزبير ٠٠ وكما عرف أيضاً بهذا الفن الخماري والسامري [٣٤] .

وبالجملة فابن لعبون من أبرز شعراء النبط وأجودهم ، وقد أكسبته نقلته [٣٥] إلى الزبير (حيث الانطلاق والتسامح) تغذية هذه الملكة وتبريزاً في هذا الميدان ٠

وقد كان معاصراً للشاعر عبدالله بن ربيعة ، وكان بينهما نقائض ومهاجاة ٠

وسبب المهاجاة : كان المدلج في الزبير آل عون ورئيسهم ضاحي بن عون وابنه أحمد لهما الرئاسة والشرف والغنى ٠٠ وآل عون رؤساء أهل حرمة الجالين إلى الزبير ، فقدم ابن لعبون إلى الزبير ، وكان عصره عصر الفوضى والتنافس على الرئاسة في الزبير بين آل ثاقب الوطبان يناصرهم السعدون شيوخ المنتفق وبين أهل حرمة وحريملة يناصرهم ابن زهير ٠٠ وشاعر آل وطبان عبدالله بن ربيعة ٠٠ وابن لعبون شاعر أهل حرمة وأشياعهم ٠٠ هذا ما أثار بين الشاعرين التي هيأت لظهور النقائض [٣٦] ٠٠ اشتدت الخصومة بينهما نتيجة لوقوف كل إلى جانب الفريق الذي يناصره ، فأشعلاها حرباً كلامية لا هوادة فيها بينهما» [٣٧] .

قال أبو عبدالرحمن : إنما غطت شهرة ابن لعبون شهرة أبناء عصره من ناحية الأدوار الغنائية ٠

---

(٣٤) قال أبو عبدالرحمن : هكذا بالأصل ، ولعل صحة العبارة : « كما عرف هذا الفن أيضاً بالخماري والسامري » ٠

(٣٥) في الأصل : اكتسبته ونقلته ٠

(٣٦) هكذا في الأصل ٠

(٣٧) جواهر الكلام ص ٢٥ – ٢٦ ٠

وابن ربيعة شاعر فحل مشهور ، ولكن شهرته لم تغط شهرة أبناء جيله من الشعراء .

والخماري ليس اسماً لغناء بعينه ، وإنما يطلق على كل غناء سامر يصحبه الدف ، والتسمية مأخوذة من وصف فعل الفرقة ؛ لأنها تدق على الدف برفق استعداداً لدق شديد يقتضيه الكوبليه ، فهذا اسمه تخمير .

وترك الشيء لينضج أو يتبلور يسمى تخميراً ، والعرب يعجبها الرأي الخمير دون الفطير .

والعوام إذا أرادوا التوجه عند شخص أرسلوا مندوباً يمهد لهم ، ويسمون التمهيد تخميراً .

وابن لعبون من أشهر شعراء العامية ، ولكنه ليس أجودهم ، وللشهرة أسباب غير الجودة منها توليد الألحان .

وقد أسلفت أن ابن لعبون منذ جاء إلى الزبير عام ١٢٢٢ هـ كانت مشيختها هادئة ، وإنما حصل التنافس أشهراً خلال عام ١٢٣٨هـ وعام ١٢٤١هـ .

وأسلفت أيضا أنه لا علاقة لهجاء ابن لعبون لابن ربيعة بالتنافس على المشيخة.

نص الأستاذ الربيعان والتعليق عليه:

وقال الأستاذ يحيى الربيعان : « ولد الشاعر محمد ابن لعبون في منطقة نجد بالمملكة العربية السعودية ، وعاش بين أهلها طفلاً وشاباً ، ثم انتقل وهو في ريعان شبابه إلى مدينة الزبير في جنوب العراق .. حيث قضى معظم سنوات عمره، وأخيراً انتهى به المطاف ليعيش في الكويت السنوات المتبقية من عمره » [٣٨].

---

(٣٨) ابن لعبون ص ٩ .

وقال : « شهدت نجد البدايات التأسيسية لنشر الدعوة الوهابية التي تزعمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقد أدى انتشار هذه الدعوة إلى هجرة بعض السكان إلى مدينة الزبير ، ومن بينهم ابن لعبون الذي كان بطبعه ميالاً للهو وحياة الترف التي توفرت له خلال إقامته في الزبير » [٣٩] .

ثم قال عن الزبير : « بدأت مدينة الزبير تطورها شيئاً فشيئاً بعد أن قدم إليها الوافدون من نجد واستقروا فيها، فمنذ ذلك الوقت تولى حكمها عدد من المشايخ والأمراء الذين كانوا في صراعات سياسية دائمة كانت سبباً في نشوب الخلافات بينهم ، وكان لكل منهم فريق يناصره وشعراؤه الناطقون باسمه في مجالس الفخر والحماسة .

ولقد عاصر ابن لعبون مثل هذه الخلافات وشارك فيها بأشعاره التي كانت واحدة منها سبباً في مغادرته الزبير بعد أن قضى فيها أحلى سنوات حياته .. تاركاً وراءه ذكريات حب لم ينسه أبداً » [٤٠] .

وقال عن تنقل ابن لعبون : « وأخشى ما يخشاه البدوي رأي الجماعة وعرفها القائم على التضامن الكامل ، فإذا ما ارتكب البدوي شيئاً لا يستقيم مع العرف : فَقَدَ سمعته في قبيلته ، وذلك أسوأ ما يمكن أن يجري عليه .

من هذا المنطلق يمكن تفسير الأسباب التي جعلت ابن لعبون يعيش حياة غير مستقرة ، فهو الطفل الذي ولد ونشأ في نجد حيث تعلم ودرس .. اكتسب عادات وتقاليد أهلها ، وهو الشاب اليافع الذي يحب ويهوى ويلهو في الزبيرالتي شاهدت فترة من رجولته وتأييده لشيوخه وأبناء عمومته ، وهو الرجل المجرب المعترف بالجميل لأهل الكويت الذين رحبوا بقدومه إليهم والعيش بينهم مكرماً معززاً حتى وافته المنية » [٤١] .

---

(٣٩) ابن لعبون ص ٩ .

(٤٠) ابن لعبون ص ١٠ .

(٤١) ابن لعبون ص ١٢ .

وقال عن نقائضه مع ابن ربيعة : « لاشك أن الصراعات السياسية التي نشبت في مدينة الزبير بين أهالي حريملاء ومعهم أهالي حرمة (ويقف إلى جانبهم ويناصرهم الشيوخ والأمراء من آل زهير ، وفي كفتهم الشاعر ابن لعبون من جهة)، وبين الشيوخ والأمراء من آل وطبان (ومعهم آل سعدون ، وفي كفتهم الشاعر عبدالله بن ربيعة من جهة أخرى) : من أهم العوامل والأسباب التي هيأت لظهور النقائض بين الشاعرين ؛ إذ اشتدت الخصومة بينهما نتيجة لوقوف كل منهما إلى جانب الفريق الذي يناصره ، فأشعلاها حرباً كلامية لا هوادة فيها بينهما ٠

وكان من بين قصائد الهجاء التي تبادلها الشاعران في تلك الفترة ثلاث قصائد أمكن تجميعها ، وهي بلا شك تعتبر من أشهر النقائض بين الشاعرين ؛ حيث كتب لها البقاء إلى يومنا هذا ، وتتمثل هذه القصائد في النماذج التي تشتمل عليها الصفحات التالية ، حيث ترد القصيدة ثم الإجابة عليها مباشرة » [٤٢] ٠

قال أبو عبدالرحمن : لم يبدأ دور قوم الشاعر في السلطة إلا منذ عام ١٢٤١هـ وقبل ذلك كانوا وجهاء البلد وأعيانها ٠٠ ولم يأخذ ابن لعبون في سب ابن ربيعة إلا بعد خروجهما من الكويت ٠

نص الدكتور العماري ،ودعواه أن ابن لعبون دوسري، والتعليق عليه:

قال أبو عبدالرحمن : وبناء على قصيدة ابن لعبون على قافيتي الراء بوصل الهاء في الأخيرة التي رد بها على ابن ربيعة ذهب الدكتور فضل بن عمار العماري إلى

---

(٤٢) ابن لعبون ص ٦٥ ٠٠ وقال في حاشية الصفحة المذكورة عن عبدالله بن ربيعة بن عبدالله بن وطبان : « وهو من بيت كانت لأهله إمارة الدرعية ، ثم إمارة الزبير ، عاش في الزبير ، ونشبت بينه وبين ابن لعبون خصومة شديدة أدت إلى الوشاية بابن لعبون ، فطرد من الزبير ، فالتجأ إلى الكويت حيث قضى بها بقية حياته » ٠٠ عن الأدب الشعبي في جزيرة العرب تأليف عبدالله بن خميس ص ٢٩٠ ٠

قال أبو عبدالرحمن : إنما خرج من الزبير وابن ربيعة من خُلَّص أصدقائه ، وأسباب خروجه من الزبير يأتي بيانها إن شاء الله ٠٠ وخرج هو وابن ربيعة معاً ٠

أن ابن لعبون دوسري ، وهذا نص قوله : « ليس انتقاصاً من أحد ، وليس افتخاراً على أحد أن ينتسب شاعر ما إلى هذه القبيلة العربية أو تلك ، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ، والعربان بعضهم يكمل بعضاً آخر [٤٣] .

وحين نقول : إن ابن لعبون مغلوط فيه ، ومدخول عليه ، فما هذا إلا استدلال واستنتاج ، إذ طالما تداخلت الأنساب واختلطت الأعراق .

فحتى لو أن أباه حمداً أصر على نسبته إلى بني وائل دون تحديد ، ثم جاء العبار فأدرجه في نسب متصل بالمنابهة من بني وهب من ضنا مسلم من عنزة بن وائل (وهو قد فعل مثل هذا كثيراً مع عدد جم من الأسر) : فإن هذا لن يمنعنا من إثارة القضية وتقديم البرهان .

يقول ابن لعبون الشاعر :

حنا هل الوادي وحنا المناعير
وحنا ودينا جارنا من جداره
يشهد لنا جريس اليماني بتفخير
يوم ان عن اهل الدين ما احد اجاره
خطلان الأيدي كالاسود الهزابير
مقابس للحرب وان شب ناره
ما حدرت وديان بيشة مياسير
كل اليمن بالسيف نملك دياره
عن المجد انشد ولد يام ومطير
وانشد جماجم روسهم عند واره

وتشير الأبيات إلى مضامين عدة ، هي على النحو التالي :

١ – الوادي : وادي الدواسر .. وإذا ما قيل الوادي مطلقاً فالمقصود به هذا الوادي بعينه .. وحينما يقال : هل الوادي : فالمعنيون هم الدواسر فقط .

---

(٤٣) قال أبو عبدالرحمن : هذا أسلوب أعجمي ، وإنما يكملون بعضاً منهم أنفسهم لا بعضاً آخر .

٢ – حنا ودينا جارنا من جداره : وفيه يذكر قصة تروى : أن ابن خليف الودعاني الدوسري في وادي الدواسر كان له جار من آل عاطف من قحطان ، وفي أحد الأيام سقط جدار بيت العاطفي على أبنائه ، فماتوا ، وعند ذلك قام ابن خليف ودفع لأبيهم ديتهم ، مع أن الجيرة لا تتطلب كل هذا ٠

يقول شاعر من قبيلة العصمة من عتيبة في ذكرى هذه الحادثة :

هو ليه ما سوى سواة ابن ودعان

قصيرهم من راس جدر يدونه

٣ – جريس اليماني : هو أحد خصوم الأشراف ، وقد التجأ إلى عدة قبائل ولم تجره ، فاستجار بالدواسر ، فأجاروه ونصروه ، والتقوا بجيش الأشراف في موقعة بين السليل والوادي في مكان ما يزال يحمل اسم جريس هذا ، ويدعى شعب جريس ٠٠ يقول الأمير السديري في ملحمة الزايدية :

وجريس ما طال من الظلم طايل

أسود الشرى عمن يبيه حجاه

وقال عدوان الهربيد عندما خاب ظنه في ابن أخيه جريس :

يا جريس ما انت بمثل جريس اليماني ٠

٤ – ما حدرت وديان بيشة مياسير : وفي هذا إشارة إلى الحدود الجنوبية لوادي الدواسر ، وأنهم هم الذين يحمونها ٠

٥ – ولد يام ومطير : ذكر خالد الفرج في حاشيته لهذا الشطر أن المقصود بيام هم قبيلتي [٤٤] العجمان والمرة ، وما أحسب أن العجمان التقوا ذات مرة بالدواسر ، بل على العكس من ذلك تماماً : كانت العلاقة بينهم أكثر من ودية على مدى تاريخهم ٠٠ حتى أن التاريخ الشفهي يذكر أن العجمان والدواسر كانوا متآزرين متناصرين في تحول العجمان نحو الشرق بعد نزوحهم من موطنهم الأصلي ، وقد احتفظ العجمان للدواسر بهذه الذكرى ٠

---

(٤٤) قال أبو عبدالرحمن : الصواب قبيلتا ٠

أما المرة فربما كانت بينهم غارات وثارات لتضارب المصالح والأطماع ٠٠ ومع ذلك فالواضح أن المقصود بيام هنا أهل نجران خاصة ، وشعرهم يذكر ذلك كثيراً٠

٦ – ومطير ربما التقى الدواسر بقبيلة مطير ، فلهذه القبيلة صراعات دامية متنوعة ٠

٧ – وانشد جماجم روسهم عند وارة : وارة كما ذكر الفرج موضع قرب الكويت ٠

وليس بين يدي ما يشير إلى هذه الموقعة ، ومن غير المتصور أن يلتقي الدواسر في هذا الموقع بأعدائهم ، إذ تفصل مناطق القبائل الأخرى بين الوادي والكويت ٠

ولعل ابن لعبون استلهم التاريخ ، فذكر وارة للقافية مشيداً بانتصارات الشمال على الجنوب قبل الإسلام [٤٥]٠

ويتبين لنا من الأبيات أن عصبية ابن لعبون عصبية قبلية للدواسر ، وليست لبني وائل ٠٠ فعلى أي أساس عبر هذا التعبير ، فافتخر هذا الفخر ، لو لم يكن دوسرياً ؟ ٠

فإن كان من تغلب بنت وائل التي جاورت الدواسر في الهدار ، وعاشت في كنفها ، فتغلب غيرعنزة ، وهنا تأتي الحجة الأولى على نسبه ٠٠ لماذا يصر النسابون على جعله من عنزة ، ولم يجعلوه من تغلب ، وفخره هذا يتعارض مع التاريخ ؟ ٠

---

(٤٥) قال أبو عبدالرحمن : هذا من غير المألوف عند العوام ، ومن الاحتمالات المرسلة التي لا يُبنى عليها علم ٠

أما إن جعلوه من تغلب بن وائل الذين يسكنون الوادي مع الدواسر (وهم خمسة بطون ، ولا يعدون أنفسهم إلا من الدواسر ، وليسوا من عنزة أو تغلب أهل الهدار) : فهذا أمر قد يكون صحيحاً ٠

يقول تغلبي من أولئك جامعاً بين تغلب أهل الوادي والدواسر تحت اسم الدواسر :

آلاد لحبيبي سعد من محزمه
تشيل كبار حمول ما لها شايل
هذا وانا وانت من قبيلة
الاسم دوسر والجد من وايل

بقي أن تقول : إن سكناه في الرفاع مدينة داخلية في البحرين حيث كان الدواسر موجودين بأعداد لا بأس بها ، والبحرين امتداد طبيعي للدواسر ٠٠ وحنينه الدائم إلى العودة إليها كان أحد الدوافع الذاتية التي دفعت ابن لعبون إلى الإحساس بالانتماء القبلي والشعور بالطمأنينة والاستقرار ٠٠ يقول في قصيدته الذائعة الصيت :

يا علي صحت بالصوت الرفيع
يا مرة لا تذبين القناع

وفيها يقول :

يوم اهلنا واهل مي جميع
نازلين على جال الرفاع

ويدل التعبير بأهلنا وأهل ٠٠ نازلين على جال الرفاع : [٤٦] على هذه القرابة والصلة والحب ٠

---

(٤٦) جريت تأصيلاً وتطبيقاً على جعل النقطتين دالتين على بقية الجملة إذا طال الفاصل بينهما كما تدل على المقول بعد كلمة قال ٠٠ وهاهنا طال الفاصل بين « يدل التعبير » و « على هذه » ٠

وإذن فابن لعبون دوسري قد يكون وائلياً من تغلب التي تشارك أهل الوادي نسبهم وأحوالهم ، وتشترك معهم في حروبهم ومصائبهم ، ولكنه ليس من تغلب بنت وائل التي تسكن الهدار ، والتي كان شعراؤها ينتمون إلى وائل وليس إلى الدواسر، وهذا واضح في شعر الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة» [٤٧] .

قال أبو عبدالرحمن : لو فرض جدلاً أن ابن لعبون انتسب حقيقة إلى الدواسر لما كان ذلك مؤثراً في الإجماع على أن أسرته آل مدلج من عنزة .

وابن لعبون شاب عامي ، ووالده مؤرخ ، ونسبه معروف لدى أسرته وأهل نجد بعامة .

هذا على الأسلوب الجدلي في التنزل في الاستدلال .. على أن المحقق أن ابن لعبون لم يدّع غير نسبه العنزي كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

وبعد هذا فقصيدة ابن لعبون دفاع عن صديقه ولد حسن الدوسري الذي عابه ابن ربيعة في نسبه ، فانبرى ابن لعبون ينافح عنه ، ويفخر بنسبه على لسانه .

والقصيدة أيضا فخر بابن صباح ، والفخر على لسانه .. وابن صباح ذو علاقة بدواسر التغالبة عن طريق الجميلات ، وقد وصفه حمود الناصر البدر وغيره بالتغلبي ، فابن لعبون في القصيدة لا يتحدث عن نفسه ، بل يتحدث عن غيره ؛ لأن قصيدته رد على قصيدة ابن ربيعة ، وابن ربيعة لم يذكر ابن لعبون بكلمة ، وإنما كان يرد على مشاري السعدون فتعرض لثلب حسن ، وكان حسن ذا صلة بابن لعبون وآل صباح .

ومن أسر الحاضرة من الدواسر آل حسن المكينزي أهل الزبير من المساعرة.

---

(٤٧) مجلة الحرس الوطني عدد ١٥٦ سنة ١٤١٦هـ ص ١٠٨ – ١٠٩ .

وحسبنا أن الذي يدافع عنه ابن لعبون سري كبير من الدواسر لم نهتد إلى حقيقته بعد ، وذكر بعضهم أنه أبو حسن من شعراء المجمعة ٠

وقال عن جد حسن :

جـده نـحـا جـدك عن الـعـرض والـنـيـر

حـــدرك يم الـــشط تـــاكل صـــبـــاره

قال أبو عبدالرحمن : الذي أجلى وطباناً جد ابن ربيعة إنما هو قَتْله لابن عمه مرخان بن مقرن ، وقد أجلاهم محمد بن سعود بآخرة ٠

فإذا لم يكن لحسن جد من قبل أمه من آل سعود فالأمر مبالغة من ابن لعبون، ولا يسلم للشاعر قوله بإطلاق ٠٠ إلا إن كان لحسن ، أو ابن حسن ، أو أبو حسن جد أبلى بلاء حسناً مع آل سعود ، وكان له يد في إجلاء قتلة مرخان ٠

وأما فخر ابن لعبون بيوم وارة فليس من الشرط أن يكون حرباً بين الدواسر وغيرهم ، بل هو وقعة لابن صباح فخر بها ابن لعبون لعلاقة ابن صباح بتغالبة الدواسر ٠

قال أبو عبدالرحمن : ومن المهم التنبيه عليه هاهنا أن قصيدة ابن لعبون العينية قالها في البحرين بيقين ، ولكنه لا يريد بالرفاع رفاع البحرين ، وإنما يريد رفاع حزم الزبير إذ تذكَّر معشوقته مياً هناك ، لأنه قال :

يـــوم اهـــلـــنـــا واهل مـي جـــمـــيع

نـــازلـــين عـــلـــى جـــال الـــرفـــاع

ومي يومها في ديلم بديار العجم مع زوجها الذي عقب عليها ابن سعدون شيخ المنتفق ٠٠ إذ أبى أهلها تزويجها ابن لعبون ٠

ويوم نزل ابن لعبون مع أهل مي كان أيام صباه بالزبير قبل أن يرحل إلى البحرين ، وقبل أن ترحل هي إلى ديلم بسنين [٤٨] .

نص الأستاذ بادي بن فيحان، والتعليق عليه:

قال أبو عبدالرحمن : وقد علق الأستاذ بادي بن فيحان المصري على هذا التعقب من قبلي بقوله : « أولاً : ورد في تاريخ ابن لعبون أن الذي أخرج آل مدلج من بلدهم القديم حرمة هم قبيلة الرجبان والوهوب من بني تميم ، وقبيلة الرجبان من آل سالم بن زايد الدواسر قبيلة ذات كيان كبير ومشهور في الوادي وغيره ، وقد نزح منهم طائفة إلى شمال نجد ، وهم الذين تحالفوا مع الوهوب من بني تميم لإخراج آل مدلج [٤٩] .

وبعد ذلك امتد نفوذ الرجبان إلى الزبير ، وكانت الفخذ التي نزحت للزبير تسمى بني زهير [٥٠] ، ثم تسلطت هذه القبيلة على بلد الزبير وحكموه فترة من

---

(٤٨) هذا الدكتور الفاضل العماري من الدكاترة الجدد الذين لا يزالون يعيشون وهم الفتوة والصلف ، والاعتقاد بظنون كل ناشئ : « الحقيقة مني وإلي » .. ولما صححت له هذا الوهم في جريدة الجزيرة توقعت أن يزجي لي شكره لهذه المناسبة ، فمن صحح لك خطأ فله حق شيخك في ذلك الموضع بالذات .. ولكن الرجل أُسقط في يده ، وعجز عن المكابرة ، فراح – وكأنه صاحب ثأر يريد أن ينتقم – إلى إحدى المجلات ينقد كتابي عن ألحان الشعر العامي نقداً يضحك الثكلى .. وهو هذر بعيد عن التخصص والوعي .. ولابد إن شاء الله من مناسبة لتخليص ذهن القارئ البسيط من أغاليطه وسذاجته .. على أن غايتي بسط حقائق ما أعلمه ؛ لأفيد وأستفيد ، وليس غرضي متابعة كل سفسطة تحوج في الرد إلى أضعافها ، ولكن الفضوليين لا يتاركونني ، ولابد من الصبر؛ لأداء رسالة العلم .

(٤٩) الخلاف في حرمة غير هذا تجده في أدنى تاريخ محلي .

(٥٠) بنو زهير رحلوا من حريملاء وليسوا من الرجبان .

الزمن ، وبعد خروج آل وطبان من نجد وسكناهم الزبير تنازعوا الإمارة مع بني زهير ، واستعان آل وطبان بالأتراك ودبروا خديعة ، وبرز آل وطبان بعد ذلك في بلدة الزبير (انظر تحفة المشتاق) ٠٠ وبقيت هناك حساسية بين بقايا بني زهير وآل وطبان ، وكان آخرهم حسن الذي ناسب السعدون زعماء المنتفق [٥١] ٠٠ ومن يعرف المنتفق الذين لا يصاهرون إلا أشراف الناس ، أو لا يزاوجون غيرهم من القبائل إلا نادراً من أمثالهم من الأسر : يعرف أن حسن [٥٢] المذكور له مكانة في النسب جعلت السعدون يقبلون نسبه ٠

وكان حسن المذكور صاحب فضل على ابن لعبون ، وعندما تعرض الشاعر ابن ربيعة لهذا الرجل وتكلم في عرضه : قام ابن لعبون للدفاع عنه والتكلم باسم قبيلة الدواسر التي ينتمي إليها هذا الصديق العزيز [٥٣] .

ثانياً : حول جريس اليماني ٠٠ يقول فضيلة الشيخ أبي عبدالرحمن : إن جريس اليماني هو أحد خصوم الأشراف ٠٠ والحقيقة أن خصم الأشراف رجل يدعى ابن مطرف ٠٠ أما جريس العجمي ويدعى جريس بن جلبان أمير قبيلة آل حبيش من العجمان : فقد جرى بين قبيلة العجمان وبين الإمام فيصل بن تركي بعد قتله فلاح بن حثلين [٥٤] ، وقد طرد الإمام قبيلة العجمان ، فمنهم من نزح إلى العراق ، ومنهم من نزح إلى الدواسر ٠٠ ومن ضمن الذين نزحوا إلى الدواسر جريس بن جلبان ، وقد التجأ إلى فخذ آل ثويمر من الرجبان من الدواسر حيث يقول :

---

(٥١) حسن من الدواسر ، وليس من آل وطبان ، ولا من آل زهير ٠٠ وإنما ساعد آل وطبان أصهارهم آل سعدون ٠٠ ويأتي إن شاء الله الكلام عن آل زهير في الفصل الثاني ٠

(٥٢) قال أبو عبدالرحمن : الصواب : حسناً ٠

(٥٣) قال أبو عبدالرحمن : أسلف الكاتب أن حسناً من بقايا آل زهير ، فكيف هذا التناقض؟٠

(٥٤) بقي فعل « جرى » بدون عامل ! ٠

يـا نـعم والـلـه يـا فـهـد من نـصـيـنـا
من خـبـرة آل ثـويمـرٍ بـد الاجـنـاب
عـز الـله انـهم ثـمـنـوا يـوم عـنـيـنـا
حـتى المجـنى قـطـعـوه من الاطلاب
الـغـوج يُـعـطى من جـنى كل غـيـنـا
والـقت عـنـده تـالي الـلـيل قـد سـاب

وبعد سنة جمع الدواسر لجريس على ثمرة نخلة حتى اجتمع له مال كثير اشترى منه إبلاً ، وذهب يريد قبيلته ، وفي طريقه مر على قرية من قرى نجد فأراد أن يسقي مطاياه ، فمنعه صاحب المزرعة ، وقال له : لن تسقيها حتى تدفع لي مبلغ أربع جدايد .. ما يساوي أربع قروش [٥٥].. فقال جريس قصيدته التي يثني فيها على الدواسر ومنها :

خـلـهـا تـعـود دام شـرهـا جـدايـد
صـوب آل زايـد مـكـرمـة من نـصـاهـا
اهـل بـيـوت كـنـهـن الـفـرايـد
وهـل كـرمـة من قـل مـالـه نـصـاهـا
اعـتـظت انـا فـيـهم وجـيـهٍ زهـايـد
اهـل الـقـرايـا الـلي يـبـيـعـون مـاهـا
لا قـلـت أبي أشـرب قـالـوا اربع جـدايـد
لـو كـان بـلـي شـربـة لاسـواهـا [٥٦]

(٥٥) الصواب : أربعة .

(٥٦) قال أبو عبدالرحمن : الكلام عن جريس من كلام الدكتور العماري ، وليس من كلامي ، وقد ذكرت خبرهما في شرحي المطبوع لأشعار الدواسر جمع الفصام ، وتقصيت خبرهما في أحد أسفار كتابي تاريخ نجد في عصور العامية .

ثالثاً : صاحب الأشراف يدعى ابن مطرف ، وقد جاء إلى الدواسر سنة ٨٥٩هـ [٥٧] ، وكان خصمه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي ، وكان ابن مطرف قد اقترف ذنباً أوجب غضب الشريف عليه ، فهرب من وجه الشريف ، ولجأ إلى قبيلة عتيبة ، ولكنهم قالوا له : نحن رعية للشريف ، ومصالحنا تحت يديه ، ولا نستطيع محاربته ٠٠ فقال : أرسلوني إلى سبيع بن عامر ٠٠ فأرسلوه إلى قبيلة سبيع بن عامر ، وعندما وصلهم اجتمعت القبيلة ، ورأوا أن لا طاقة لهم بحرب الشريف ، وقد حشد جيشاً قوياً فقال ابن مطرف ، أرسلوني للدواسر ، فأرسلوه إلى قبيلة الدواسر ، وعندما وصل إلى الدواسر اجتمعت أعيان القبيلة ، وقالوا : ندفع للشريف عشر ديات ، ويعفو عن هذا الرجل الذي لجأ إلينا ، وبعثوا للشريف في هذا الأمر ، ولكنه أصر إلا تسليمه أو الحرب ، وقال كلمته المشهورة : أنا أعمى لا أشوف إلا هذا الرجل ٠٠ وطلب منه وفد الدواسر إمهالهم سبعة أيام حتى يردوا عليه فأعطاهم ذلك ، وقبل أن تنتهي المهلة هاجمته جموع الدواسر ، واستمرت الحرب بينهم خمسة عشر يوماً ، وفي كل يوم كان الشريف ينزح إلى الغرب نحو دياره ٠٠ وبعد ذلك تمكن منه ابن خطاب زعيم قبيلة الرجبان آنذاك ، وقتله في مكان يسمى اليوم قوز الشريف ، وهو الحد الفاصل بين ديار قبيلة سبيع والدواسر ٠٠ وفي ذلك يقول ابن مطرف :

جلينا وجلانا الشريف ابن هاشم
وذا شرع من جلى الشريف يخاف
زَبنّا على لمَّا رجال عتيبة
وقلوبهم يم الشريف صخاف
زبنّا على لما سبيع بن عامر
بدو سُوف الاريا والعزوم ضعاف

---

(٥٧) قصة ابن مطرف بعد هذا التاريخ بقرون ٠

زبـــنّـــا عـــلـــى لمـــا رجـــال آل زايـــد

داووا عـــمـــا مـــن يـــشـــوف وشـــاف

يـــا نـــعم يـــا ولـــد ابن خـطـاب في الـلـقـــا

ســـيـــفه مـن راس الـــشـــريـف انـــزاف

وقد قتل الشريف بركات في هذه المعركة ، وسلم من شره ابن مطرف حتى لا يشتبه في قصة جريس اليماني وابن مطرف .

رابعاً : حول بيت ابن لعبون حيث يقول :

عـنـد الـلـقـاء أنـشـد ولـد يـام ومـطـيـر

وانـــشـــد جـــمـــاجـم روســـهم عـــنـــد وارة

يشير ابن لعبون إلى معركة جرت في حدود نهاية القرن الحادي عشر ، وذلك أن شيخ العجمان ذلك الوقت ويدعى سالم العبد حصل بينه وبين حاكم الأحساء ابن عريعر نزاع ، وقد استعان ابن عريعر بقبيلة الرولة وقبيلة مطير ، واستعان العجمان بقبيلة الدواسر ، وحصل بينهم مناخ بالقرب من جبل وارة ، وفي هذا المناخ تقابلت الدواسر مع الرولة ومطير ، وقتل في هذا المناخ كثير من الطرفين ، ومن أبرز القتلى الشيخ وطبان الدويش ، وفي هذه الوقعة أخذت الريشة من قبيلة الرولة ، وكانت هذه الريشة قديمة لدى ابن شعلان .. تعاقبت عليها عدة أجيال عندهم حتى سميت عندهم أم الدهور لقدمها ، ولم يسبق أن أخذها أحد قبل الدواسر في هذه الواقعة[٥٨] .

وقد وردت قصيدة بهذه المناسبة جاء فيها ذكر هذه المعركة ونتائجها حيث يقول شاعر الدواسر :

---

(٥٨) هذا خلط في الزمان والمكان والأعلام ، وأكتفي برد الأستاذ ابن دهيمش الذي سيأتي بعد هذا النص .

يـــوم وطـبـــان جـــا بمـطـــيـــر غـازيـنـــا
مـعه ابن شـعـلان بـالـريـشـة يـقـديـهـا
بـالـفـــين خـيـــال وانـــا يـــوم عـديـنـــا
بـاللي ثـمـان امـيـة الحـرب نـبـغـيـهـا
نـركب عـلـى الخـيل مـاشيٍّ بي يـلـهـيـنـا
ومن وقـعت حـربـته مـا عـاد يـثـنـيـهـا
امـيـة وخـمـسـين قـلـع مـن يمـانـيـنـا
وحـصـان وطـبـــان غـلـقـهـا يـوفـيـهـا
يـا ذيب يـا الـلي مع الـصـفـرا تـبـاريـنـا
عـشـاك وطـبـان في مـقـدم نـواصـيـهـا
امـا ابن شـعـلان يـومه جـاهل فـيـنـا
يـشـمت نـصـيـبه ومن جـابه بـعـد فـيـهـا
هـذا لـعـيـنـاك يـا من هـو مـوصـيـنـا
الـريـشـة الـلي تجـيك اخـبـار راعـيـهـا
بـارمـاحـنـا الـلي تـوردهـا يمـانـيـنـا
اخـذ المـزيـن وعـكـفـة ريـشـة فـيـهـا
دون الـعـشـائـر وقـع الخـيل مـلـهـيـنـا
اقـفت مـطـيـر تـشـامت في نـواعـيـهـا

هذا ما أحببت بيانه عن هذه القصيدة التي تطرق فيها ابن لعبون لأمجاد الدواسر ٠٠ وسوف يصدر إن شاء الله كتاب عن قبيلة الدواسر يجد فيه القارئ كثيراً من تاريخ هذه القبيلة ، ومناقبها ، وأنسابها ٠٠ حيث أن لي مدة ثماني سنوات وأنا أحضر وأبحث عن هذه القبيلة وغيرها من القبائل العربية [٥٩] ٠٠ ولا يخفى على القارئ ما يجده الباحث في تاريخ نجد من نقص وفراغ ، والله المستعان على ذلك ٠

(٥٩) قال أبو عبدالرحمن : أرجو أن يوفق الكاتب إلى دراسة تأصيلية تزن المصادر وتقومها ، وتحيل الجزئيات إلى أماكنها بالتنصيص ، وتكون عن خبرة تاريخية مترابطة ٠٠ أما إن كان الكتاب مثل هذا البحث فعلى الله العوض للقارئ غير المتخصص ! ٠

ملحوظة : لا زالت الريشة موجودة إلى اليوم عند شيخ الدواسر ابن قويد»[٦٠].

قال أبو عبدالرحمن : في كلام الأخ بادي – هداه الله – خلط وملط كثير في أمور تاريخية خارج نطاق هذا الكتاب ، وأرجو أن أتناولها في أحد كتبي التاريخية، وذكر سياقات تاريخية عن حرمة وغيرها تنافي التاريخ والمألوف ، ولم يسند إلى مصدر معتبر بالتنصيص ٠٠ على أنني أسلفت تعليقات سريعة على نص الأخ بادي٠

نص الأستاذ ابن دهيمش، والتعليق عليه:

وتعقبه الأستاذ عبدالله بن دهيمش العنزي بقوله : « أولاً : أن الشاعر ابن لعبون لم يفد بنسبه الشيخ أبا عبدالرحمن [٦١] ، بل إن نسبه ثابت ومعروف ،

---

(٦٠) جريدة الجزيرة العدد ٨٤٠٥ في ١٤١٦/٥/٩هـ ص ٣١ ، والعدد ٨٤١٢ في ١٤١٦/٥/١٦هـ ص ٣١ ، وهو تكرار لا أدري كيف وقع ؟ ٠

(٦١) يريد الكاتب أنني ببياني أن ابن لعبون عنزي لا دوسري لم آت بجديد ؛ لأن نسب ابن لعبون ثابت معروف !! ٠

قال أبو عبدالرحمن : هذا من سوء الأدب الذي يجب أن يتنزه عنه طلبة العلم ، ومن الجهل بآداب البحث والمناظرة ٠٠ وإنما يقال لي هذا الكلام لو كنت أستأنف القول عن نسب ابن لعبون ، وآتي بعبارات التأكيد على أنه عنزي ، فيكون صنيعي تحصيل حاصل ٠٠ ولكن الواقع أنني أرد على دكتور يأتي بالمؤكدات على أن ابن لعبون دوسري، ويجعل الشبه حججاً ٠٠ فهل يكون بعد ذلك تأكيدي عنزيته بعد ردي دعوى دوسريته تحصيل حاصل حتى يقال لي : لم تأت بجديد ؟ ٠٠ اللهم لك الحمد !! ٠

والصواب « أبو عبدالرحمن » ٠٠ ولا تصح « أبا » على الحكاية ؛ لأن المحكيَّ في كنيتي «أبو»٠

وله قبيلة بين ظهرانينا تعرف بآل مدلج ، وتتألف من أكثر من عشرين أسرة٠٠ كل أسرة تعرف باسم مستقل ، ومنهم أسرة آل لعبون أنفسهم رهط الشاعر وأبيه النسابة اللذين انقرضا ٠٠ وهذه القبيلة منها علماء وأمراء ودكاترة وطلبة علم، وهم أعرف منا جميعاً بنسبهم ٠٠ أما الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل فقد رد مشكوراً على أحد الأشخاص الذين تنقصهم الدراية عن أنساب القبائل والأسر فنسب ابن لعبون إلى الدواسر جهلاً منه ٠

ثانياً : لقد ذكرت أنه ورد في كتاب ابن لعبون أن الذين أخرجوا آل مدلج من بلدهم حرمة هم قبيلة الرجبان والوهوب ٠٠ وهذا الكلام لم يرد في تاريخ ابن لعبون٠٠ وآل مدلج لا يزالون في حرمة حيث إمارة حرمة حالياً في أسرة آل ماضي فرع من آل مدلج ، وسكان حرمة منذ القدم إلى كتابة هذه الأسطر وهم [٦٢] آل مدلج ومعهم بعض الأسر ، وقد نزح منهم فرع إلى الزبير والكويت إبان نزوح بعض الأسر في بعض العصور ٠

ثالثاً : لقد ذكر السيد بادي أن أسرة الزهير حكام الزبير سابقاً من الرجبان من الدواسر ٠٠ وهذا غير صحيح ، فأسرة الزهير منسوبة من الزهير من الجبور من الكعابنة من بني صخر ، وليس [٦٣] من الدواسر كما ذكره في تعقيبه ، ولا علم لنا بمصاهرة السعدون للزهير ، والذي نعرفه كما يعرفه الجميع أن السعدون يدعون الشرافة ، ولا يصاهرون أحداً ٠٠ وهم كذلك ٠

---

(٦٢) الصواب « هم » دون واو قبلها ٠

(٦٣) الصواب : « وليست » ٠٠ والتصنيف الأسري أن آل زهير من بني خضير ؛ ولهذا كان هجاء ابن ربيعة وابن لعبون لابن زهير ٠٠ ولكن أكثر أفناء العرب الذين سموا ظلماً وعدواناً ببني خضير يعودون لقبائل عربية ، وآل زهير يحتفظون بنسبهم العربي كما سيأتي في الفصل الثاني ٠

رابعاً : لا علاقة لنا بما ذكره عن جريس اليماني ، ولا علم لنا بصحة ما ذكره من خطئه ، ولكن الشيء الذي نثبت نفيه القاطع هو تفسير السيد بادي لبيت الشاعر ابن لعبون القائل :

عند اللقا انشد بني يام ومطير

وانشد جماجم روسهم عند وارة

فقد ذكر المذكور أن سبب هذا البيت معركة جرت في حدود نهاية القرن الحادي عشر ، وقال : إن المعركة بين الدواسر من جهة وبين ابن عريعر حاكم الأحساء ومعه الرولة من عنزة وقبيلة مطير ٠٠ وقال : إن الدواسر إضافة إلى القتلى أخذوا الريشة من الرولة ، وقال : إنها تسمى أم الدهور ، ولم تؤخذ إلا من قبل الدواسر ٠٠ وذكر أنها[٦٤] لا زالت ريشة الرولة موجودة عند ابن قويد شيخ الدواسر ، وذكر السيد بادي قصيدة قال : إنها لشاعر من الدواسر بهذه المعركة ٠

والجواب على هذا القول هو أن قبيلة الدواسر قبيلة عريقة كغيرها من القبائل لها وعليها ، ولكن المعركة التي ذكرها المذكور لم تحصل ألبتة ، ولم تشارك الرولة إطلاقاً بمثل هذه المعركة ٠٠ خصوصاً وأن الرولة قد تحالفت ضدها سبع قبائل معروفة كانت تسمى حلف أهل الشمال ٠

فلا أذكر هناك ريشة للرولة إلا موقع بلاد في منطقة الأجفور الأردنية [*]٠٠ والريشة منتجع لآل شعلان مشايخ الرولة ٠٠ أما ما توهمه السيد بادي فهو يقصد مركب أبو الظهور ، وليس أبو الدهور كما تذكره المصادر الأجنبية ، وهذا المركب هو عبارة عن عطفة تُقَدَّم أثناء الحرب ، وقد سمي أبو الظهور ؛ لأنه له عدة أضلاع ، وهو لم يؤخذ ألبتة ، وها هو موجود في بيت الشيخ النوري بن فواز

---

(٦٤) الصواب « أنه » بضمير الشأن ٠٠ ولو قال : « وذكر أن ريشة الرولة لا زالت » : لكان أسلس ٠

(*) الأجفور H4 : صار اسمها الرويشد.

الشعلان في الريشة .. وقد تحدث لنا الشيخ النوري أن هذا المركب تقدم له بعض من تجار الآثار الغربيين قبل سنين قريبة جداً ، فدفع به مليوني فرنك فرنسي، ورفض الشيخ النوري بيعه ؛ لكونه من بقايا تراث أجدادهم ، فلا أعتقد أن مركب الرولة لا يزال عند ابن قويد ، وإني ادعوه لمشاهدة المركب المذكور بالعين المجردة ، وأطلب منه أن يرافقني إلى ابن قويد لأشاهد الريشة المزعومة .. وقبيلة الرولة هي القبيلة الوحيدة التي استهدفها المستشرقون بكتاباتهم ، وأرخ لها موزيل كتاباً من أربعة عشر فصلاً سماه أخلاق بدو الرولة وعاداتهم ، كما كتب عنهم المستشرق وليم وغيره ، وإني أطالب المذكور بمصدر الرواية خصوصاً وأنه ذكر شواهد مثل وجود المركب عند ابن قويد .. ودليلاً [٦٥] على اللبس عند الأخ بادي أنه أخذ مسمى المركب من مصادر أجنبية .. حيث ينطقونه أبو الدهور ، وأخذ اسم الريشة من وجود ديرة للشعلان تسمى الريشة ، وخلط هذا بهذا ، فصارت رواية ، وصار تعقيب .. قال الشيخ الفارس خلف بن زيد الشعلان :

ابو الظهور اللي يحفظ الوداعة
مثل صباح رميح والطرش ما قاد

وعن الريشة الديرة قلت قصيدة :

قام ايتقمز به مع القشع والهيش
روَّح بريد اخوان شيمة بالارياش
يهوم عسرات الطعوس المهاليش
ويغضي مع البدا كما اغضاي الارماش

والذي نعرفه أن قبيلة الرولة خاصة من عنزة لم تخضع لحكم ابن عريعر ، بل إن قبيلة بشر بفروع قبائلها العمارات وضنا عبيد لهم صلة وطيدة مع ابن عريعر ، ولهم مواقف خصوصاً العمارات .. أما الرولة فلم يحدث ما ذكره صاحب القصيدة ، ولا أدري لعله يقصد وجود ابن لامي على رأس إحدى قبائل

---

(٦٥) الصواب : والدليل .. لأنه لم يأت عامل « دليلاً » في أثناء كلامه .

مطير وهو من المشهور من الشعلان ، وقد دخل في مطير ، ولكن عطفة الرولة منذ القدم عند بيت آل نايف من الشعلان حتى هذا العصر » [٦٦] .

نص الأستاذ صلاح الزامل، والتعليق عليه:

وقال الأستاذ صلاح الزامل : « وبمناسبة كتابة شيخنا ابن عقيل الظاهري عن ابن لعبون ، فهنا أريد أن أبين نقطة مهمة ، وهي أن البعض توهم أن ابن لعبون قد التقى بالشاعر الكبير محسن الهزاني في قصة طريفة لا داعي لذكرها ، وللأسف الشديد أني سمعتها من مثقفين وشعراء لا بأس بهم ، وقد كنت سمعتها من الراوية مشاري العنقري رحمه الله سنة ١٤٠٣هـ ، ولقد تحققت من بطلان هذه الرواية ٠٠ من أن الهزاني عاش في القرن الثاني عشر الهجري ٠٠ وابن لعبون عاش في القرن الثالث عشر الهجري ، فالهزاني ولد في أوائل القرن الثاني عشر وتوفي في آخره ، أما الشاعر ابن لعبون فقد ولد عام ١٢٠٥هـ كماهو معروف ؛ لذلك أردت أن أبين هذه الحقيقة التي هي موجودة لدى بعض الرواة ، وأنها وهم وخيال » [٦٧] .

قال أبو عبدالرحمن : رويتُ هذا الوهم عن بعض الأشياخ ، فزعم أن ابن لعبون بحث عن الهزاني ، فتعارفا بنجد ، ثم زاره الهزاني بالزبير ، وطرح عليه الهزاني هذا اللغز :

اســـــــألك عـن خـــــــمس جِـلْ

لا مـن خـــــــــيـل ولا مـن إبـل

ثـنـتـين في الـشـمس وثـلاث في الـظـل

---

(٦٦) جريدة الجزيرة ٨٤١٣ في ١٤١٦/٥/١٧هـ ص ٣٥ .

(٦٧) جريدة الجزيرة / العدد ٨٣٧٨ في ١٤١٦/٤/١١هـ ص ٢٧ .

فحل اللغز بأنه الصلوات الخمس ، ثم طرح هو اللغز على الهزاني بهذا النص:
اسألك عن اربعة عشر ٠٠ حاضر منهن ثنتين وغايب اثنا عشر ٠

فحل اللغز بأن المراد السماوات السبع والأرضين السبع ٠٠ وكل ما مضى سجع لا شعر ٠

فقال ابن لعبون : لا يمكن أن نجتمع معاً – أي لعظم شاعريتهما – في الزبير ، فإما أن أرحل إلى نجد ، وإما أن أعطيك مطية ، فتعود أنت إلى نجد ، فاختار الهزاني الرجوع إلى نجد !! ٠

وذكر أنه لما كان عند الهزاني في نجد غم عينيه ، وذهب إلى مكان السمر ، ثم أعاده مغموم العين ٠٠ فاهتدى ابن لعبون إلى المكان مرة ثانية – على الرغم من ذلك– ؛ لأنه وضع معه حباً يتساقط من جيبه فاهتدى به !! ٠

وستأتي هذه الأسطورة في كلام الدكتور ابن لعبون منسوبة إلى الشاعر ابن لعبون وهو بالزبير ٠

نص الدكتور ابن لعبون ، والتعليق عليه:

وقال الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون : « ولد ابن لعبون في ثادق ، وبها ترعرع ، ودرس وتعلم القراء ة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ونشأ في بيت علم وأدب ، وقد تهيأت للشاعر محمد الفرصة للاطلاع على أمهات الكتب في التاريخ والأدب التي تزخر بها مكتبة والده الشيخ حمد بن محمد بن لعبون ، فقد ورد أنه جاء أباه في يوم من الأيام فقال له : يا أبت لقد رأيت البارحة في المنام أنني أشرب بحراً ، ففسر له أبوه ذلك الحلم بأنه إما علم واسع أو شعر غزير ، فكان الأخير[٦٨].

(٦٨) نقلاً عن العم ناصر بن حمد اللعبون المتوفى بالرياض عام ١٤٠٤هـ عن عمر ناهز المئة عام [ابن لعبون] ٠

وكان ابن لعبون منذ نعومة أظفاره يقرض الشعر ، وكان الشيخ حمد بن لعبون يأخذ ابنه محمد وهو صغير إلى مجالس أمراء آل سعود للسلام عليهم ، وقد مدحهم بقصائد لم يصلنا منها سوى هذا البيت [٦٩] :

صغيرهم يربى على الشيب بالطيب

لو كان طفل يحمل فوق الاكتاف [٧٠]

ويُذكر أن ابن لعبون حين خروجه من ثادق مهاجراً إلى الزبير قالت امرأة مشيرة إليه « هذا أبو قذيلة اللي يقصد ؟ » .. أي يقول الشعر فأجابها مرتجلاً بقوله :

أبو قذيلة ما وقف عند بابك

لا فصخ واحد من ثيابك [٧١]

أنتِ حصاة الدرب كل وطا بك

حتى الاجانب يدلون بابك [٧٢]

وما أن سمعت ذلك الهجاء منه حتى بادرت لإرضائه تريد العافية [٧٣] .

وابن لعبون رحمه الله حسن الطلعة ، جميل الصوت .. وذكر أبوه الشيخ حمد ابن لعبون أن الشاعر محمد كان فائق الخط ، ويحفظ القرآن .. تكلم في الشعر في صغره ، وكان رحمه الله ذكياً فطناً حسن البديهة .

---

(٦٩) المصدر السابق [ابن لعبون] .
(٧٠) الشطر الأخير منكسر ، ويستقيم هكذا : لو كان طفل يحملونه بالاكتاف .
(٧١) يستقيم الشطر الأخير هكذا : ولا هوب فصَّخْ واحد من ثيابك .
(٧٢) يستقيم الشطر الثاني هكذا : حتى الاجانب جوا يدلون بابك .
(٧٣) نقلاً عن العم ناصر بن حمد اللعبون [ابن لعبون] .

واتصف ابن لعبون بالذكاء وحسن البديهة وارتجال الشعر ، ومما يستشهد به على ذكائه القصة التي تروى عنه حيث رغب أصدقاء له في دعوته لحضور مجلس أنس وطرب ، ولكنهم لا يريدون أن يعرف المكان ، فدعوه للحضور شريطة أن يغمضوا عينيه حتى لا يستدل على المجلس ، فوافق ابن لعبون ، ومضى معهم إلى المكان معصوب العينين ، ولما وصلوا رفعوا الغطاء عن وجهه فسمروا ، وفي آخر الليل أغمضوا عينيه وعادوا به ، وهكذا ظن أصدقاء ابن لعبون أنهم طربوا معه دون أن يعرف مكانهم .

وفي الليلة التالية فاجأ ابن لعبون الجميع بحضوره إلى المكان ، فعجبوا أشد العجب ، وعرفوا أن ابن لعبون قد ملأ جيبه حبوباً ، وخرق خرقاً صغيراً في الجيب تتساقط منه الحبوب على طريق سيره إلى المكان ، وفي الصباح تتبع الحب فاستدل عليهم [٧٤] .

ويشير شعر ابن لعبون وما تواتر من أخباره أنه أحب ، وغدا حبه حديث الناس ومصدر إلهام لقصائده غزلاً ووصفاً وشوقاً ومعاناة .

ظل ابن لعبون وفياً لحبيبته التي اختار لها اسماً مستعاراً وهو « مي » ، وقد اختاره لمطابقة مجموع أرقام حروفه الأبجدية مع أرقام حروف اسمها الأصلي الذي يروى أنه هيله فكلاهما خمسون [٧٥] .

---

(٧٤) مثل هذه القصة وردت في أساطير بني هلال ، والله أعلم بصحتها .

(٧٥) استعان الأدباء والمؤرخون العرب بحساب الجمل اعتماداً على ترتيب حروف الهجاء وإعطاء كل حرف رقماً حسب ترتيبه كالآتي : الأفراد أبجد هوز حطي : أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ي = ١٠ ، العقود كلمن سعفص : ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، المئات قرشت ثخذ ضظغ : ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ ، ومنه لما كان مجموع اسم هيله ٥٠ فقد اختار ابن لعبون لها اسماً مستعاراً مجموعه ٥٠ و كان هذا الاسم هو مي .

وكما ارتبط اسم عدد من الشعراء باسم من أحبوا ككثير بعزة ، وجميل ببثينة، وعنترة بعبلة ، وقيس بليلى ، وغيرهم : اقترن اسم ابن لعبون بمي ، وإن كان هذا الاسم مستعاراً إلا أنه تكرر في معظم قصائد ابن لعبون الغزلية ٠٠ ومن ذلك قوله :

يـــقـــولـــون جـــور الحب يـــا مـي هـــين

وحـــبك لجـــا بـي لاجيٍ بـــالـــضـــمـــايـــر

ظل ابن لعبون يردد اسم مي ما بقي له أمل بوصالها ٠٠ فقد كانت حليلة لأحد مشايخ المنتفق ، وبعد وفاته خطبها ابن لعبون فرفض أهلها تزويجها له ، فتزوجها أحد أمراء العرب المتغلبين على بلد ديلم في إيران [٧٦] .

وعندما طفح الكيل به ويئس ابن لعبون منها بث لواعجه في قصيدة مؤثرة اختلطت فيها أبيات اللوعة لزواجها والهجاء لزوجها والدعاء على ديلم بالنيازك تدكها ، واختتم القصيدة بتصريح ابن لعبون باسم حبيبته بقوله :

و الـــلـه لـــــولا الحـــيـــــا والـــلـــــوم

لا صـــيـــح واقـــــول يـــا هـــيـــلـــــــة

وهيلة هذه هي هيلة الموسى ؟ [٧٧] [٧٨] .

وقال : « ويقترن اسم ابن لعبون بأمثاله من شعراء النبط الذين أحبوا ولم ينالوا ما تمنوا ، ويصوغ الشاعر سليم بن عبدالحي ذلك بقوله :

---

(٧٦) خالد الفرج حياته وآثاره ، خالد سعود الزيد ص ١٩٠ – ١٩٨ [ابن لعبون] ٠

(٧٧) عبداللطيف البابطين ص ٢٥ [ابن لعبون] ٠

(٧٨) أمير شعراء النبط محمد ابن لعبون ص ٣١ – ٣٤ ٠

وين محسن وين عبدالله الفرج

وين ابن لعبون بيطار المثيل

شوف وش سوى لهم غض الشباب

كل منهم مات مغلول عليل

بقي أن نقول : وحتى عندما تغزل ابن لعبون بغير مي في أبيات قليلة : لم تفض قريحته شوقاً ولوعة كذكره مي ٠٠ وحتى عند تغزله بغير مي يذكرها ، ومن ذلك مناجاته لسلمى حيث يقول :

الى عاد صبحك مستحيل ومظلم

فانا قول يا سلمى هوى مي اولى لي (٧٩)

لم يستقر بابن لعبون القرار في بلد معين ، فما أن بلغ السابعة عشرة حتى ترك ثادق مسقط رأسه في المحمل من نجد في تنقل وترحال إما رغبة منه أو رغماً عنه ، ففي هذه السن المبكرة هاجر إلى الزبير ، ومنها نفي إلى الكويت ، ثم سافر إلى البحرين ، ومنها هرب عائداً إلى الكويت حيث أمضى بقية حياته ، وفيها مات ٠

وقد ورد في شعره ذكر للقطيف (٨٠) مما يشير إلى أنه ذهب إليها وإلى الأحساء ٠٠ كما ذكر (٨١) أنه ذهب إلى الهند لزيارة ابن عمه ضاحي بن عون في مدينة بومباي ، ومما يؤسف له أنه لم يردنا مما يلقي الضوء على سيرة ابن لعبون وتنقلاته في هذه البلدان إلا النزر اليسير ٠

---

(٧٩) قال أبو عبدالرحمن : سلمى الدنيا ، وليست امرأة ٠

(٨٠) لم يذكرها ذكرَ المار بها ٠

(٨١) إن كان الفعل « ذكر » مسنداً إلى الفاعل – وهو ابن لعبون – : فليس في شعر ابن لعبون شيء من ذلك ٠٠ وإن كان مسنداً إلى نائب الفاعل بالبناء للمجهول : فلابد من ذكر المصدر ومعرفة من ذكر ذلك ٠

إن هذه الأسفار والتنقلات ، وما واكبها ، وتخللها من ظروف وأحداث : أكسبت ابن لعبون ميزة يكاد ينفرد بها عمن سواه من الشعراء ، ولا نقصد بها ميزة السفر والترحال ، بل ميزة ما اكتسبه منها من خبرة انعكست متانة في شعره وصقلاً لشخصيته ، واعتداداً بنفسه ٠٠ لقد وفر السفر للشاعر ابن لعبون الفرصة للتعايش والتكيف مع بيئات تختلف إلى حد ما في لهجاتها وعاداتها ومبادئها مع ما ألفه في مجتمع نجدي ولد فيه وترعرع ٠

انطلق ابن لعبون من مجتمع نجدي في قلب جزيرة العرب إلى مجتمع نجدي آخر في الزبير أكثر انفتاحاً وتأثراً بالساحل وجنوب العراق ، وسافر إلى مجتمعات أكثر بعداً عن مجتمعات نجد والزبير ، فقد سافر إلى البحرين ، والهند ، ووجد في مجتمع الكويت وسطاً بين هذه وتلك ، فاستقر بها ليقضي أواخر أيامه » [٨٢] .

وقال : « ساعدت عبقرية ابن لعبون الشعرية وشخصيته المرحة الطربة في توطيد علاقاته مع كثير من وجهاء وأعيان نجد والزبير والعراق والكويت والأحساء والبحرين وقطر ٠

وورد في شعره ذكر كبار شخصيات عصره ، وفي صغره مدح آل سعود ، ومنهم عمر بن سعود بن عبدالعزيز بقصائد كثيرة ، ومدح الشيخ جابر العبدالله الصباح والشيخ ضاحي بن عون [٨٣] وابنه أحمد والأمير أحمد السديري ٠٠ وكان له علاقات ومراسلات مع عدد من وجهاء المنطقة كالحاج يوسف اليعقوب البدر في الكويت [٨٤] ، وشاعر الأحساء عبدالجليل الطبطبائي وغيرهم » [٨٥] .

---

(٨٢) محمد ابن لعبون ص ٣٥ – ٣٦ ٠

(٨٣) قال أبو عبدالرحمن : لا أعرف له شعراً في ضاحي بخصوصه سوى بيت واحد ضمن مدحه لابن ثاقب يحتمل أنه أراد به ضاحي بن عون ٠

(٨٤) عبدالله خالد الحاتم أمير شعراء النبط محمد بن لعبون ، مجلة البيان العدد ٢ لسنة ١٩٦٦م [الدكتور ابن لعبون] ٠

(٨٥) ابن لعبون ص ٣٧ ٠

وقال : « أورد ابن بشر في حوادث سنة ١٢٤٧هـ ما نصه : (وفي هذا الطاعون مات رئيس الزبير علي بن يوسف الزهير ، وفيه أيضاً توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد بن محمد ابن لعبون المدلجي الوائلي ٠٠ مات بالكويت ، وكان شعره جيداً ٠٠ إلا أن فيه تخبيط [٨٦] في العقيدة ، وقيل : إنه أنشأ قصيدة تاب فيها وتضرع إلى الله) [٨٧] » [٨٨] .

وقال : « ذكرنا ما اختلف فيه الرواة فيما يتعلق بسنة وفاة الشاعر محمد ابن لعبون ، ونعود في هذا الموضوع إلى ما ذكره والده حمد ابن لعبون عن ابنه الشاعر بقوله : « ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧هـ في الطاعون العظيم الذي عم العراق والزبير والكويت » [٨٩] .

وقال الدكتور اللعبون : « وعن عمر الشاعر يقول أبوه الشيخ حمد : « فيكون عمره ٤٢ سنة » ، ودفن ابن لعبون رحمه الله في مدينة الكويت ٠٠ وللأديب الشاعر عبدالعزيز بن سعود البابطين [٩٠] اهتمام في البحث ، والتحقق عن مكان قبر ابن لعبون [٩١] ، وذلك من خلال اتصالاته منذ مدة طويلة بكبار السن والمهتمين بشعر ابن لعبون ، ومن لهم دراية وعلم في المكان الذي دفن فيه ٠

ويذكر البابطين أن أحمد الجار الله أخبره أن سليمان الجراح كان قد دله على مكان القبة التي أقامها العامة على قبر ابن لعبون ، كما أن عبداللطيف الثويني

---

(٨٦) قال أبو عبدالرحمن : الصواب تخبيطاً ٠

(٨٧) ابن بشر المصدر السابق ٨٤/٢ [ابن لعبون] ٠

(٨٨) أمير شعراء النبط / ابن لعبون ص ٣٩ ٠

(٨٩) تاريخ حمد بن لعبون ص ٦٠١ [ابن لعبون] ٠

(٩٠) مقابلة شخصية مع الأديب عبدالعزيز البابطين ، الخبر ١٤١٦هـ [ابن لعبون] ٠

(٩١) قال أبو عبدالرحمن : جاء في كتاب الفن والسامري ص ١٤ [حاشية] أنه دفن قبلي منطقة سحيلة بناء على وصيته ٠

ومنصور الخرقاوي أيضاً يعرفان موقع قبر ابن لعبون ، وأنه يقع في منطقة الجسرة (اليسرة) بالكويت التي كانت تعرف بنقعة الصقر على ساحل السيف ، وهي اليوم حديقة متحف حمود بن يوسف البدر ٠

كما يذكر أنه كان في الكويت وقتذاك ثلاث قباب : ثنتان على ما يُزعم أنه قبر الخضر في جزيرة فيلكا ، وواحدة على قبر ابن لعبون بالكويت ، وكان العامة يزورون هذه القباب ٠

وفي بادرة حسنة لتبني قبول الدعوة السلفية التي حمل لواء ها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله، والتي أخذت تنتشر في المنطقة : فقد قام الشيخ مبارك الصباح بهدم هذه القباب الثلاث ٠

وحول مكان قبر ابن لعبون نقول : إن ما يشيعه الناس بالكويت من أن ابن لعبون أوصى أن يدفن على قارعة الطريق التي تمر بها النساء عند ذهابهن وإيابهن إلى البحر : فهذه ربما قالها من باب المداعبة ؛ إذ ليس من المعقول أن يسمح أهل الكويت ، وحكامها ، وعلماؤها ، وأصدقاء ابن لعبون ومعارفه ، ووجهاء الكويت كالحاج يوسف اليعقوب البدر ، وعائلته : أن يدفن مسلماً [٩٢] خارج مقابر المسلمين حتى لو أوصى بذلك ٠

إنها قصة تحتاج إلى تحقيق وبرهان ، ومثلها مثل ما يشاع عن أبيات قالها عن تحديد مواعيد لقائه بالنساء على السيف مما لا يتفق تماماً مع ما يتمتع به ابن لعبون من عزة وكرامة وعفة لسان ٠٠ ونترفع أن نذكر هذه الأبيات لما فيها من خدش لحياء القلم عند كتابته لها ، كما أنها من الأساطير التي حيكت حوله رحمه الله [٩٣] .

---

(٩٢) قال أبو عبدالرحمن : الصواب مسلم ٠

(٩٣) ياليت الدكتور ذكر هذه الأبيات ؛ ليجد من يشاركه في البحث والتحقيق ٠

كان ابن لعبون رحمه الله كما تواترت الأخبار ، حسن الطلعة ، حسن الصوت، خفيف الظل ، حسن المعشر ، يحب الطرب والمرح والفكاهة ، وربما كان هذا الجانب من شخصية ابن لعبون ما جعل خالد بن محمد الفرج يقول عنه : « وكان طبعه ميالاً إلى اللهو والبطالة » [٩٤] ، وكذلك قوله : « فقد كان ابن لعبون زير نساء ، وحليف مزهر ومزمار » ٠٠ وهذا ما غلب على رأي العامة فيه ، وتندرهم بغرامياته ، وما ورد في شعره من غزل ٠

لقد طغى ما تناقله العامة وتندروا به من أوهام وأساطير حول ابن لعبون على حقائق تركها المؤرخون والأدباء عنه ، وعلى كثير من المعلومات التي يمكن استنباطها من شعره أو أحداث المنطقة في وقتها [٩٥] ٠٠ إن ما أمكن معرفته من تناقض بين ما تناقلته الشفاه عن ابن لعبون وواقع حاله يجعلنا نشكك في مصداقية معظم ما روي عنه من أخبار ونوادر ٠

وهنا ندعو جميع المهتمين بشعر ابن لعبون وحياته أن يجتهدوا معنا لإجلاء[٩٦] صورة ابن لعبون وإظهارها على حقيقتها ٠٠ أيا كانت بعيداً عن مغالاة محبيه أو تشويهات مبغضيه ، أو مغالطات الرواة ٠

---

(٩٤) خالد بن عبدالله الفرج المصدر السابق [ابن لعبون] ٠

(٩٥) قال أبو عبدالرحمن : هدى الله الدكتور اللعبون ووفقه ليعطي كتابه في الطبعة الثانية حقه من اللغة المشرقة ، والأسلوب الخلاب ، والتحليل الفكري المنطقي !! ٠٠ وعفا الله عن المقدم للكتاب الأستاذ عبدالله بن خميس حيث اكتفى بالتقريظ ، ولم يطلب من المؤلف معاودة الأسلوب بلغة بيانية بديعية ، ولم يضع يده على بعض الأخطاء ، والفضول ، والاستطراد ؛ لأن المقدمة تقويم ومصارحة وإشادة بالتجليات ٠٠ وضمير «وقتها » أرجح شيء يعود إليه « الحوادث » ٠٠ أي : أو أحداث المنطقة في وقت تلك الأحداث ٠٠ على أن الاستنباط يكون بعدها !! ٠٠ وإن أراد أن الوقت مرجع الاستنباط لا تاريخه : فذلك تحصيل حاصل ٠

(٩٦) الصواب : لجلاء ٠

ولابد لنا هنا من وقفة : إن من كان في صفاته مثل ابن لعبون (وإن كان فيه شيء مما ذكر) لا يمكن أن يوصف بما وصفه به ابن فرج ، أو حتى ما أشاعه [٩٧] العامة عنه ، وتندروا به ، وذلك لأسباب عدة منها [٩٨] :

١ – حسبه ونسبه وعلمه ووجوده بين ظهراني عائلته من آل لعبون وأبناء عمومتهم من آل عون (آل ضاحي) وآل مدلج (ولهم الرياسة والشرف) وجماعته من أهل حرمة .. ما [٩٩] يجعله يحسب ألف حساب لتصرفاته .. خاصة أنه محسوب على عائلته وجماعته التي هي في صراع مع العوائل الأخرى ، والتي تبحث عن أية مثالب وهنات لتؤخذ ضد أهل حرمة [١٠٠] .

---

(٩٧) قال أبو عبدالرحمن : الوصف والإشاعة يتعلقان بأن ابن لعبون يحب ، ويغني ألحاناً مبتكرة ، ويذكر نديمات طرب ومحادثة ، ويذكر الخمرة وصفاً .. ومصدر ذلك جمهرة شعره الذي لم يرد حوله تشكيك باحث .. فالمصدر شعره لا وصف الفرج ، ولا إشاعة العامة .

(٩٨) قال أبو عبدالرحمن : نصوص الدكتور اللعبون تتجه اتجاهاً عاطفياً إلى إخلاص الثناء على الشاعر الكبير ابن لعبون سيرة وموهبة ، والاعتقاد بأن لابن لعبون سيرة متينة لم تدون ، وأن شعره الذي هو مصدر استنباط الباحثين ، والنوادر المروية عنه : منيت بالتزوير ، أو الاستنباط غير الصحيح .. ولا بأس في كون الدعوى كبيرة أو صغيرة ، وإنما العبرة بما يُقيمها من برهان .

أما النوادر التي تروى عن ابن لعبون فمنها ما يقبل الشك كالنادرة التي ذكرها الدكتور نفسه عن طمهم عين ابن لعبون واهتدائه بالحبوب ، وكالطرفة المرتبطة بقصيدة : يا علي صيح بالصوت الرفيع ! .

ومنها نوادر في حيز الاحتمال بلا رجحان كقصة طرق ابن جلق على الورق من أجل مرور حسناء .

وأما شعره فلا يشكك في ثبوته إذا وجد فيه غناء ولهو وعشق ؛ لأن كل ما عرف من شعر ابن لعبون تدور جمهرته في هذا الفلك .

(٩٩) قال أبو عبدالرحمن : الصواب : مما .

(١٠٠) قال أبو عبدالرحمن : ليست هنالك مثالب إلا حياة اللهو التي أشاعها ابن لعبون في شعره .. وأبناء عم ابن لعبون كثر في الزبير لم تلحقهم إشاعة اللهو هذه .

٢ – مواقف ابن لعبون الرجولية للذب عن جماعته [١٠١] ، ومن ناله ضيم : جعلته يستأسد ويدافع بكل شراسة وبأحد الألسنة ، وما كان له أن يأخذ مثل هذه المواقف [١٠٢] لو كان كما وصف .

٣ – مواقف ابن لعبون وخاصة السياسية منها جعلته يتميز بجهاده ، ودفاعه عنها ، ويدخل في صراعات يعرف قبل غيره ما سيدفعه من ثمن بسببها ، وما كان ليدخلها لو كان كما وصف [١٠٣] .

٤ – إن مناقضاته وهجاء ه لصديقه الشاعر ابن ربيعة لم تكن إلا بسبب اختلافهما سياسياً ؛ وما وقوفه بوجه حاكم الزبير أو آل ثاقب ومن شايعهم وخاصة أمراء المنتفق ، وتعرضه لمتسلم البصرة العثماني وغيرهم وهجاؤه لهم إلا لاعتداده بنفسه وصلابة مواقفه ودفاعه عنها وما كان ليقفها لو كان كما وصف [١٠٤] .

٥ – إن المتصفح لديوان ابن لعبون يبهره غزارة علمه وسعة اطلاعه ، وإن المستقرئ لخلفية ابن لعبون وحفظه للقرآن صغيراً ونشأته في كنف أبيه العلامة الشيخ حمد بن لعبون : تجعله يتساء ل كيف يتسنى لابن لعبون ذلك لو كان كما وصف ؟ [١٠٥] .

---

(١٠١) قال أبو عبدالرحمن : ومن قال : إن الظريف لابد أن يكون محروماً من خصائص الرجولة ، واهتمام الجماعة ؟ ! .

(١٠٢) قال أبو عبدالرحمن : إنما حفظ لابن لعبون – وهو في الزبير – قصيدة ميمية يغري ناصر الراشد بابن زهير كرهاً منه لابن زهير لأسباب سأذكرها .

وبقية قصائده السياسية إنما قالها بعد خروجه من الزبير دفاعاً عن ابن صباح ، وعن صديقه ولد حسن .. وليس الدافع لذلك دفاعه عن زعامة أسرته .

(١٠٣) قال أبو عبدالرحمن : هذه الفقرة هي الفقرة السابقة بعينها .

(١٠٤) قال أبو عبدالرحمن : إنما قال ذلك بعد خروجه من الزبير .. والدافع الحرص على ثلب ابن ربيعة من أجل ابن صباح وصديق ابن لعبون ولد حسن ، وليس ذلك لموقف عائلي .. ثم إن هذه الفقرة تكرار للفقرتين قبلها .

(١٠٥) قال أبو عبدالرحمن : من قال إن الجهل شرط لظرف الشعراء ولهوهم ؟ ! .

٦ – علاقات ابن لعبون مع أكابر الناس من وجهاء وأدباء وأمراء في مختلف البلدان في نجد والساحل ٠٠ ما كان له أن يوطد علاقاته بهم ويشاركهم مجالسهم ويتراسل معهم لو كان كما وصف [١٠٦] .

٧ – لقد شاع وذاع صيت ابن لعبون وقويت حجته ، ولابد أن يكون ذلك على حساب أقوام لا يرضيهم ذلك ، فما كان لهم إلا محاربته بكل الوسائل حياً وبعد مماته ، وإلا فأين دواوين شعره ، فليس من المعقول أن من كان في مثل براعته بالخط أن لا يترك مخطوطاً [١٠٧] ، وما كان ليشتهر لو كان كما وصف [١٠٨].

---

(١٠٦) قال أبو عبدالرحمن : إنما كان شعره ، ولهوه ، وظرفه من أسباب شهرته وصلته بالأكابر ٠

(١٠٧) قال أبو عبدالرحمن : إن أراد مخطوطاً علمياً من تأليفه أو من نسخه فذلك بعيد ؛ لأن ابن لعبون لم يشتهر بالعلم المؤصل ، وإنما ذكر والده ولعه بالأدب في صغره ٠٠ وهواية الأدب غير التمكن العلمي ٠

وإن كان المراد مخطوطاً بشعره وشعر غيره فيحتمل أن له مجموعاً ضاع كما ضاعت آثار غيره ، ويحتمل أن يكون عطَّل ملكة جودة الخط بلهوه وشعره حيث لم يجد للكتابة فراغاً٠

ويحتمل أن يكون شعره أو أكثره نقل في الأصل من خطه أو إملائه ٠٠ وعلى أي تقدير فلا أثر لما ذكر في دعوى إشاعة اللهو عنه والحب ٠

(١٠٨) قال أبو عبدالرحمن : قويت حجته في أي شيء ؟ ٠٠ هل كان سفيراً ، أو مؤلفاً ؟ ٠٠ إنما هي براعة موهبة شعرية في جماليات على هامش الهموم الجماعية ٠

ومن هم أولئك الأقوام الذين دخل معهم ابن لعبون في صراع ؟ ٠٠ إنما صارع هو بشعره الشاعر ابن ربيعة ، ولم يرد عليه ابن ربيعة بكلمة ! ٠٠ وتعرض لابن زهير بالهجاء فلم يقل فيه ابن زهير كلمة ، بل أخرجه من الزبير ؛ لأنه رجل سلطة وفعل ٠٠ لا رجل مهاجاة باللسان ! ٠

وأما ضياع شعر له يوصف بالدواوين فدعوى مجردة مرسلة ٠

وأما احتمال ضياع شيء من شعره فاحتمال وارد ، وليس ابن لعبون في هذا بأوحد ٠

إنها حرب إعلامية بعد فشل خصومه في الوقوف بوجهه ٠٠ وكما تشابه ابن لعبون والمتنبي بلاغة وشعراً : تشابه معه في تعرضه لحرب إعلامية شرسة[١٠٩] ومثال لما نقول ارجع إلى قصة إخراجه من الزبير كما يتناقلها ويتندر بها العامة وكما أوردها الأدباء [١١٠] .

ولنعد إلى العرب ومقولتهم البليغة : أعذب الشعر أكذبه ٠٠ ومعروف أن ليس كل ما يقوله الشاعر انعكاساً لواقعه ، فالشاعر قد يسمو به الخيال واللفتات الذهنية مما يجعله يسبح في الخيال ، وربما تشبب بفتاة أبدع في وصفها وهو لم يرها ، وقد يخترع لقاء ات لا وجود لها ، وربما كان وصف هذه وتلك أبلغ من وصفها لو حدثت حقيقة [١١١] ٠٠ بقي أن نقول إنه مع تشبب ابن لعبون بمي وتغزله قد قال :

سليـنـا لا حـلال ولا حـرامـا
عـلـيـهـن الـطـلاق بـلا جـواز

وقال أيضاً :

والـهـواوي مـن هـواهـن مـحـروم
غـيـر وصل لا حـلال ولا حـرام

---

(١٠٩) قال أبو عبدالرحمن : نحن بحاجة إلى إثبات هذه الحرب الإعلامية قبل الحاجة إلى إثبات شراستها ٠٠ ومقارنة ابن لعبون بأبي الطيب من الفضول لعظم الفوارق وقلة أوجه اللقاء ٠

(١١٠) قال أبو عبدالرحمن : ليست هناك حرب إعلامية في إخراجه من الزبير ، وإنما أخرجه ابن زهير للهوه وتشبيبه ، وتعرضه له بالهجاء ، والإغراء بالخلاف بين آل راشد وآل زهير ٠٠ ويأتي بيان كل ذلك في الفصل الثاني إن شاء الله ٠

(١١١) قال أبو عبدالرحمن : هذا عندما تكون مي أسطورة ، ويكون التشبيب بها صادراً عن فراغ ٠٠ والواقع أن مياً حقيقة تاريخية ، وشعرَ ابن لعبون جياش العاطفة ، وعناء ه راهن موجود ٠٠ وهو لم يذكر وصلاً يوجب حداً ، ولو ذكره لما لزمه على أحد القولين ٠٠ وقد انتصر لهذا القول شيخنا محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسيره لآخر سورة الشعراء ٠

وقال :

وقـالـوا نـال مـنـهـا مـا تـمـنى
وانـا مـا نـلت مـنـهـا إلا الـنـدامـة

وقبل حوالي ربع قرن كنت في زيارة للأديب الشاعر عبدالعزيز بن سعود البابطين في مكتبه بالكويت ، فتذاكرنا ابن لعبون ، فذكر لي أنه في إحدى زيارات الشيخ أبي سليمان القاضي له في مكتبه (وكان شيخاً كبيراً يتوكأ على عصاه) استشهد ابن قاضي وهو يصعد الدرج ببيتٍ من الشعر يقطر عذوبة وخوفاً من الله، فسألته من قائل هذا البيت يا أبا سليمان ؟ .. فقال : ألا تعرفه .. إنه خالك ابن لعبون ، فاستغربت وقلت : ابن لعبون يقول مثل هذا الشعر ؟ .. فأجاب ابن قاضي: ما عرفتم من شعر ابن لعبون إلا ما خف على الطار .

استوقفتني هذه القصة ، وعددتها طرف الخيط الذي من خلاله سأعثر على جانب آخر لشعر ابن لعبون فاجتهدت وقتها للبحث عن ابن قاضي لأستزيد منه عن ذلك الجانب لشعر ابن لعبون ، ومع الأسف لم أعثر عليه ، فهل هنالك من له علم بالوجه الآخر لابن لعبون ؟ » [١١٢] .

وقال : « دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسية مراراً ، وأغلى ثمن لهذه المواقف نفيه من الزبير من قبل شيخها علي بن يوسف الزهير ، وإذ نسوق قصة نفيه نستشهد بها على ما تعرضت له صورة ابن لعبون من تشويه وافتراء ، وتمثل هذه القصة دليلاً على مجانبة الصواب ما أشاعه الناس حول ابن لعبون من أساطير ، ففي الوقت الذي يتفكه العامة بأن ابن لعبون ذهب يوم العيد لمعايدة الشيخ ، فأعطاه الشيخ العيدية ، فوضعها ابن لعبون في ردنه (كمه) ، وخرج وفي

---

(١١٢) ابن لعبون ص ٤٠ – ٤٤ .. قال أبو عبدالرحمن : تبقى إذن دراسة ابن لعبون على ذمة المروي من شعره ، وتبقى دعوى أن له شعراً آخر لم يدون على مجرد الاحتمال .. وما احتمل ثبوته لا ينفي ما علم ثبوته .

الطريق لقيته غانية فصاحت به : الحذيه يابن لعبون ٠٠ وبسرعة أجابها : خذي ما طويل الخصى أكرم مني ٠٠ وأفرغ ما في ردنه في حجرها ، فنمي الخبر إلى الشيخ الذي غضب لذلك ، وأهدر دم ابن لعبون ، وعندها هرب إلى الكويت ٠

وشتان بين هذه القصة وما يذكره الأديب عبدالله بن خالد الحاتم [١١٣] ، وهو أن الشاعر ابن ربيعة أبلغ الشيخ علي الزهير أن ابن لعبون نظم قصيدة جديدة ٠٠ ولما كان الشيخ من المهتمين والمولعين بشعر ابن لعبون طلبه للحضور إلى مجلسه ، وطلب منه إلقاء القصيدة فألقاها على مضض لمعرفته بذكاء وفطنة الشيخ ٠٠ ومع أن القصيدة ليس في ظاهرها ما يريب ، ومن يسمعها يظنها مدحاً للشيخ ٠٠ والحقيقة وكما قال الأديب الحاتم خلاف ذلك ، فالشاعر ابن لعبون مدح الشيخ على طريقة مدح أبي الطيب المتنبي مع كافور ٠٠ وما أن انتهى ابن لعبون من إلقاء قصيدته حتى التفت الشيخ علي إلى من حوله ، وقال : إن ابن لعبون يحرك رأساً نائماً ، فأمره بمغادرة الزبير، وأمهله ثلاثة أيام لمغادرة الزبير ٠٠ غضب ابن لعبون وغادر الزبير في ساعته [١١٤] .

وعلى هذه القصة بروايتها تقاس أخبار ابن لعبون ، ومنها يتبين الدس على ابن لعبون ؛ لتشويه سمعته ، وتقليل أهمية مواقفه : بقي أن نقول إن مطلع القصيدة هو :

---

(١١٣) أمير شعراء النبط محمد بن لعبون ، مجلة البيان، العدد الثاني ١٩٦٦م [ابن لعبون] ٠

(١١٤) قال أبو عبدالرحمن : قصة « ما طويل الخصى أكرم منى » مصنوعة بلا ريب ٠٠ من صنع عوام لا يعرفون الأسباب الحقيقية لإخراجه من الزبير ، وقد بينت ذلك في الباب الثاني في شرحي لشعره ٠

ودعوى وشاية ابن ربيعة بابن لعبون محض اختلاق ، بل هما صديقان ، وقد أخرجهما ابن زهير معاً ، وهجيا ابن زهير معاً ٠

وكون ابن لعبون تلا القصيدة على ابن زهير يوهمه أنها مدح من أبطل الباطل ، بل هي هجاء صريح قد يخفيه عن ابن زهير ، وقد يواجهه به علناً ٠٠ أما أن يتلوها مدعياً أنه لا هجاء فيها فأمر لا يليق بعقله ، ولا بعقل ابن زهير ، ولا بعقول أهل مجلسه ٠

يـــا خـــفـــي الـــلـــطـف لـــطـفك يـــا كـــريـم

تـــرحـم الـــلـــي الـــيـــوم عـــجـــز لا يـــقـــوم

خرج ابن لعبون غاضباً من مجلس الشيخ علي الزهير ، فعرج على نديمه وغريمه عبدالله بن ربيعة ، وأخبره بالخبر ، وصحبه إلى آبار الدريهمية حيث استقى ابن لعبون ، فسمع صوت طار ، فقال لابن ربيعة : ذا حس طار ٠٠ فرد عليه ابن ربيعة : أو ضميرك خفوقه ؟ ٠٠ فجعلها ابن لعبون مطلع قصيدة صب فيها جام غضبه على شيخ الزبير وأهلها :

ذا حس طـــار أو ضـــمـــيـــرك خـــفـــوقـه

يـــدق بـه من نـــازح الـــفـــكـــر دقـــاق » (١١٥)

وقال : « كما تأثر الوضع الاقتصادي لبلد الزبير بسبب موقعها الجغرافي عند أطراف بادية جنوب العراق ، فقد تأثر وضعها السياسي بهذا الموقع أيضاً ،

فقد قامت العلاقة بين حكام الزبير وآل سعدون أمراء المنتفق بدور فاعل في تشكيل الوضع السياسي والأمني في الزبير ٠٠ تدخل أمراء آل سعدون (وخاصة الشيخ حمود بن ثامر السعدون) تدخلاً مباشراً في شؤون الزبير الداخلية والسياسية خاصة ، فقد كان تأثيرهم في ذلك يوازي تأثير السلطة العثمانية ، ففي الوقت الذي حظي فيه آل زهير بدعم متسلمية البصرة : وقف آل سعدون وبقوة بجانب آل ثاقب في صراعهم مع آل زهير على إمارة الزبير ، ومكنوا إبراهيم بن ثاقب من مشيخة الزبير ، ودعموا ابنه محمداً من بعده عسكرياً وسياسياً حتى هروبه إلى الكويت ، ثم تعرضت بلدة الزبير للهجوم والحصار من قبل عيسى بن محمد بن ثامر السعدون وأتباعه ٠٠ وبدعم من شيخ الكويت

---

(١١٥) ابن لعبون ص ٥٥ – ٥٦ .

جابر العبدالله الصباح تمكن عيسى في سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٥م) من اقتحام الزبير واعتقال شيخها ابن زهير وإخوته الأربعة ، وإعدامهم ، وإعادة تنصيب محمد ابن ثاقب شيخاً في الزبير ٠

وقد ذكر ابن لعبون الشيخ حمود السعدون ، وكذلك الوالي العثماني في العراق داوود باشا بقوله :

ولـــولا حـــمـــود هـــو وداوود شـــالـــه

مـا اسـتـمـلك الـبـصـرة وبـذله لـلامـوال

دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسية وجرأة لسانه ، فنفي من الزبير فلجأ إلى الكويت التي كان أميرها وقتذاك الشيخ جابر العبدالله الصباح المعروف بجابر العيش ٠

سافر ابن لعبون إلى الكويت عن طريق ميناء الخوير الذي يقع في طرف خور عبدالله القريب من الزبير ، والمعروف لدى العامة بالمجدم ٠٠ لم يتوفر لدينا معلومة مؤكدة حول تاريخ خروج ابن لعبون من الزبير ووصوله إلى الكويت ، ولكن ربما كان ذلك خلال الفترة ما بين ١٢٤٣ – ١٢٤٥هـ [١١٦] .

ووصل إلى الكويت فوجد أن شهرته قد سبقته إليها ، فحظي باستقبال وحفاوة وكرم أهلها عامتهم وخاصتهم ، وكان ابن لعبون على صلة ببعض أعيان الكويت وأدبائها ، ومنهم الحاج يوسف اليعقوب البدر [١١٧] .

---

(١١٦) ذكر عبدالله الحاتم (المصدر السابق) أن ابن لعبون وصل الكويت خلال الفترة ما بين ١٢٣٥ – ١٢٤٠هـ ٠٠ وهذه الفترة لا تتفق وفترة حكم الشيخ علي بن زهير التي امتدت من عام ١٢٤٣ – ١٢٤٧هـ ، الصانع والعلي ص ١٥١ [ابن لعبون] ٠

قال أبو عبدالرحمن : القصيدتان القافية والميمية دلَّتا على أن ابن لعبون خرج وقت إمارة ناصر الراشد بالاسم ، وإمارة ابن زهير بالفعل ٠٠ وذلك معروف التاريخ ٠

(١١٧) عبدالله الحاتم المرجع السابق [ابن لعبون] ٠

استقر ابن لعبون بالكويت وقلبه معلق بالزبير ، وذكرياته فيها ، وظل يتغنى بها وبمحبوبته وأطلالها ٠٠ وبعد مدة سئم ابن لعبون الحياة في الكويت فسافر إلى البحرين علَّه يجد ما ينسيه الزبير وأحبته فيها ٠

وجد ابن لعبون في البحرين مجتمعاً تسوده حياة اللهو والمجون والفن والطرب، ولكن ابن لعبون لم يمكث طويلاً في البحرين ، إذ إنه بعد أيام قلائل من وصوله لها اضطر لمغادرتها هارباً ٠٠ فقد حدث في أحد مجالس طربه تجاوز من أحد الحاضرين كاد يؤدي إلى ورطة مع أحد أمراء البحرين ، وهذا ما دعا ابن لعبون للهرب عائداً إلى الكويت ، وسنورد قصة هذه الحادثة عند ذكرنا لقصيدة : يا علي صحت بالصوت الرفيع في الديوان » [١١٨].

وقال : « كثيراً ما يرتجل ابن لعبون الشعر حال الحاجة إليه ، ومن ذلك أنه كانت تربطه صداقة مع شاعر البحرين عبدالجليل الطبطبائي ، وكانا يتراسلان شعراً ، ولم ير أحدهما الآخر ٠٠ وعندما ذهب ابن لعبون إلى البحرين قصد منزل صديقه ، وكان الشاعر عبدالجليل في صدر المجلس ٠٠ والمجلس مليئاً بالناس ، فما كان من ابن لعبون إلا أن جلس في طرف المجلس على مضض منه ، وعندما قام صاحب المجلس لغرض له داخل المنزل وعاد مر على ابن لعبون وهو لم يعرفه ، فانتهز ابن لعبون مروره فنطق بهذين البيتين مازحاً ومستفزاً ومختبراً نباهة صاحبه:

جانا يتخنطل
يمشي على الطل
بير معطل
وقصر مشيد

(١١٨) ابن لعبون ص ٥٨ – ٥٩ ٠٠ قال أبو عبدالرحمن : إن كانت هناك قصة خارج دائرة القصيدة العينية فذلك محتمل ٠٠ وإن كان المراد ما ارتبط بقصيدة : « يا علي صيح بالصوت الرفيع » فقد بينت بطلان ذلك في الفصل الثاني، وفي الباب الثاني ٠

وهنا انتبه عبدالجليل لهذا الضيف ، وذكر بهذين البيتين ابن لعبون وشعره، وظنه هو بعينه ، فرد عليه بالشعر نفسه متسائلاً فقال :

دوبـــك تـــــــفـــــــتـــــل

وأنـــت الـــــتـــــنـــــتـــــل

قـــــــل لـــــــي أأنـــــــت (م)

الحـــكـــيـــم الـــرشـــيـــد

وعندها تعارف الشاعران ، واحتفى عبدالجليل بضيفه الشاعر ابن لعبون ، وقربه منه في صدر المجلس ٠

وقال الدكتور عبدالعزيز ابن لعبون : « تكرر عند ابن لعبون وصف الأماكن ٠٠ وخاصة تلك التي تربطه بمحبوبته ، فها هو يصف منازل حبيبته « مي » وصفاً دقيقاً يستدل به من لم يعرفه :

يـــا مـــنـــازل مـــيّ عـــن قـــبـــة حـــسن

مـن يـســار وعـن قـــبـــر طـلـحـــة يمـــين

وقبة حسن يقصد بها قبر الحسن البصري رحمه الله ، وقبر طلحة هو طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه ، وكلاهما دفنا في مدينة الزبير ٠٠ الأول في المقبرة المعروفة باسمه ، والثاني خارج المدينة إلى قارعة الطريق المتجهة إلى البصرة ٠

ويذكر (دم خزام) [١١٩] وهو اسم لمكان في مدينة الزبير يقال : إن خزام

---

(١١٩) يرى كثير من الناس أن هذا المكان هو الموقع الذي دارت فيه رحى معركة الجمل حيث عقر خزام جمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٠٠ ويفند الصانع والعلي ص ٢١٥ هذا الرأي ، لأسباب عدة أهمها :

١ – ليس لهذه الرواية سند تاريخي ٠

٢ – أن جمل عائشة رضي الله عنها يدعى عسكراً وليس خزاماً ٠

٣ – لم تنحصر معركة الجمل في مكان واحد بل شملت مساحة شاسعة ٠

ويفسر الصانع والعلي تسمية الموقع بديم خزام أن هنالك طريقتين لزراعة الحنطة الأولى ديماً =

جمل عائشة رضي الله عنها عقر فيه ٠٠ وعامياً يقال لهذا الموضع ديم خزام :

حـي المـنـازل بـديـم خـزام
تْـحـيـة الجـار لـلـجـارة

ويذكر موضعاً آخر قرب الزبير فيقول :

فـوق الأمـيـلـح قـطـين خـيـام
مـضـروبـة دار مـا داره

ويستغرق في وصفه لمواقع في جزيرة العرب فيقول :

يـا هـل الـعـيـرات مـا مـنـهن عـجـاف
رابـيـات بـنـجـد في هـيـفٍ وريـف
من جـبـل تـيـمـا الى حـد الاحـقـاف
من خـشـوم طـويـق لـبـطـانـة عـفـيـف
هـايـفـات كـالمـهـا زرق الخـفـاف
مـن بـنـات عـمـان ممشاهن خـفـيف (١٢٠)

ويقارن بين الشام والقطيف :

بـالـبـعـاد وكـيـف يـقـضى بـايـتـلاف
حـاجـه بـالـشـام نـاس بـالـقـطـيـف (١٢١)

= [الصواب : ديم] ويسمى بعلاً اعتماداً على الديم أو المطر ، والثانية سيحاً [الصواب : سيح] ويعتمد على الري ٠٠ وكان أحد المزارعين واسمه خزام زرع حنطته ديماً ، واختار هذا الموقع ، وكان منخفضاً تتجمع فيه مياه الأمطار ، وأصاب خيراً ٠٠ بينما تلف زرع أصحاب السيح في ذلك الموسم ، فقال الناس : ديم خزام غلب سيح الجماعة٠٠ وذهبت مثلاً ، وسمي الموقع بديم خزام ٠

(١٢٠) في الأصل : « هاينات » ، ولعله تطبيع ٠

(١٢١) قال أبو عبدالرحمن : العناية بهذه الأماكن التي ذكرها لا يترتب عليها كبير فائدة في دراسة حياة ابن لعبون وشعره ، فهذا تحديد بالذكر والوصف ، ولا دليل على أن ابن لعبون مر بهذه الأماكن ، وكانت له معهن ذكريات ٠

فيذكر ابن لعبون أماكن وقرى في نجد ، ومن ذلك في إحدى نقائضه لابن ربيعة :

واقفيت تشتم للصفرات والبير
تقول عود جيتي خسارة (١٢٢)

وفي مدحه للأمير أحمد بن محمد السديري :

عامدات نجد من بعد المساف
خاصات (*) **الغاط من نجد المريف** (١٢٣)

ويدعو لثادق مسقط رأسه ولأهلها فيقول :

علمي بهم قطن على جو ثادق
سقاها مرنات الغوادي ركومها

ويأتي على ذكر سدير بقوله :

الى جيت في وادي سدير فخلّها
تذب العفا ما فوقها الا وسومها

ومرة ثانية يصف ابن لعبون منازل ميّ :

يا منازل مي في ذاك الحزوم
قبلة الفيحا وشرق من سنام

فالفيحاء هي البصرة ، وسنام جبل معروف بين الزبير والكويت وهو للزبير أقرب .. ويقول أيضاً :

حي المنازل يمين اطلال
شرق العقيلة الى هيلة

---

(١٢٢) في الشطر الأخير حذف تمامه : لـه .. بعد « جيتي » .

(١٢٣) يستقيم هكذا : خاصصات .

(*) الوزن مستقيم (المراجعة).

العقيلة وهيلة مسميات لمناطق بين الزبير وخور عبدالله المعروف عند أهل الزبير بالمجدم ٠٠ ويقول :

حـــي المـــنـــــازل عـــلى الخـــابـــور
مـن حـــوض فـلـــوان الـى الـــبـقـشـــة

الخابور وحوض فلوان والبقشة (كلمة عثمانية تعني الحديقة أو البستان) وهي أسماء أماكن بالزبير ٠

وتمضي السنون التي عاشها ابن لعبون في دار ابن عوام (أي مدينة الزبير) سريعة ، ويتحسر على ذلك بقوله :

يـــا ســـنـــين لـي مـضت مـــثل الحـــلـــوم
كـــنـــــهـن فـي دار ابـن عـــــوام عـــــام

وفي الكويت ذكر وارة مفاخراً فقال :

عن المجـــد انـشـــد ولـــد يـــام ومـــطـــيـــر
وانـشـــد جـمـــاجم روســهم عـنـــد وارة

وفي البحرين يأتي على ذكر جال الرفاع :

لـــيـت أهـــلـــنـــا واهـل مـي جـــمـــيـع
نـــازلـــين عـلى جـــال الـــرفـــــاع (١٢٤)

وذكر البصرة في إحدى نقائضه لابن ربيعة :

ولـــــولا حـــمـــــود هـــــو وداود شـــالـه
مـــا اســتـمـلك الـبـصـرة وبـــذلـه للامـــوال

ويأتي ابن لعبون في قصيدة له على ذكر شط العرب بقوله :

---

(١٢٤) صحة البيت : يوم اهلنا ٠٠ والمراد رفاع الزبير ٠

لـــو رمـــيـت بـه الـــذي لك من خـــصـــيم

مـــا جـــرى شط الـــعـــرب غـــيـــر الـــدمـــوم

واستشهد بعذوبة النيل فقال :

وبـــحـــر جـــنـــاه الـــدر واحـــلى مـن الـــنـــيل

اضـــحـــى بـــعـــيـــنـــه كـــالـــسـراب يـــتـــحـــول

وينسب ابن لعبون رجالاً لبلدانهم كقوله :

اتـــرعن كـــاس الـــهـــوى لـــي وانـــدفـق

كـــاس عـــذري الـــهـــوى راعي الحـــريـق

وراعي الحريق إشارة إلى الشاعر محسن الهزاني ٠٠ وهو من بلدة الحريق بنجد [١٢٥] .

وردد ابن لعبون عدداً من الأسماء منها ما هو مستعار ، ومنها ما هو صريح لأشخاص معروفين ذكرهم بأسمائهم وكناهم ، وسنضرب على ذلك مثلين : الأول لاسم محبوبته المستعار والحقيقي ، والثاني ذكره لأسماء من مدحهم أو هجاهم ٠

وتكررت اسماء لنساء في شعر ابن لعبون منها لطيفة (أخو لطيفة) ، وقوت ، وسعاد ، ومريم (أخو مريم) ، وسلمى ، وزينب ، وهند ، وليلى ، وفريجة (ربابته) ، وسارة ، ووضحى (ولد وضحى) [١٢٦] .

ومن الأزهار والنباتات العطرة ذكر ابن لعبون الجثجاث ، والرمث ، والحزا ، والزهر ، والشيح ، والقيصوم ، والبختري ، والخزامى ٠

---

(١٢٥) قال أبو عبدالرحمن : تتبع أكثر هذه الأسماء من الفضول ؛ لانتفاء العلاقة التي تهم الدراسة الأدبية ٠

(١٢٦) الصواب : وضحا ٠٠ والأصل : وضحاء ٠

وقديماً لجأ الشعراء إلى تسميات استعاروها لأحبتهم ، ولسان واحدهم يقول:

أسميك سعدى في نسيبي تارةً
وأونة أسما وأونة لبنى
حذاراً من الواشين أن يسمعوا بنا
وإلا فمن سعدى لديك ومن لبنى

وهي حال ابن لعبون مع مي فمن هي مي ؟ .. هي اسم مستعار استعان به ابن لعبون لمناجاة حبيبته .

وهيلة الاسم الحقيقي لمن تعلق بها قلب ابن لعبون .

لقد ذكر ابن لعبون أسماء رجال مدحهم مثل ضاحي العون ، وابنه أحمد ، وأحمد بن محمد السديري ، وآخرين هجاهم كغريمه عبدالله بن ربيعة الذي ذكره مرة بعبيد ، وبابن ربيعة مرة أخرى .. وربما قصد ابن ربيعة بقوله ابن عايد [١٢٧]، أو زيد الربيعة ، وأخيه عبدالله .. ومن المسؤولين العثمانيين في العراق ذكر الوالي العثماني في بغداد وهو داوود باشا .. كما ذكر كاظم آغا المتسلم العثماني على البصرة ، وربما قصده بقوله راعي الوكالة .

ومن شيوخ الكويت ذكر الشيخ جابر بن عبدالله الصباح مرة باسمه جابر ، ومرة أبو صباح ، وأخرى أخو مريم .

ومن آل سعود ذكر مقرن ، وتركي ، وثاقب ، ومن أمراء المنتفق ذكر حمود بن ثامر السعدون ، وابن صلال من فرسان المنتفق .

واستشهد بذكر أسماء ربما لا وجود لشخوصها ، وذلك لما اقتضته ضرورة القصيدة مثل صالح وعبداللطيف [١٢٨] .. كما أشار إلى رجال من طرف

---

(١٢٧) لا دليل ولا شبهة على هذا الاحتمال .

(١٢٨) يريد بعبداللطيف نفسه هو كما بينت ذلك في شرح القصيدة .

خفي في معرض استشهاده بالسموأل ، ولم يذكر أسماء إنما استشهد بما يفيد ذكر أسمائهم كقوله : خراعب اللي وصفهن بان بسعاد ٠٠ يقصد به كعب بن زهير بن أبي سلمى رضى الله عنه ، وقوله : عن لذة الكندي على ماي ماسل ٠٠ ويقصد بالكندي هنا امرأ القيس ، وقوله أيضاً : كاس عذري الهوى راعي الحريق ٠٠ ويريد به محسن الهزاني ٠

وذكر الزناتي خليفة بقوله : وصابه مثل ماجا الزناتي بالامثال ٠

وأسماء كرر مناداتها أو الاستعانة بها ربما رمزاً أو لأشخاص حقيقيين مثل ابن جلق ، وصاحبيه عواد وعلي اللذين اختلف الرواة في حقيقتهما [١٢٩].

وعمد ابن لعبون إلى الكنية عند ذكره لعدد من الأشخاص مثل : أخو لطيفة ، أخو مريم ، أبو صباح ، أبو مالك ، أبو سالم ، أبو إبراهيم ، بنت بنقير ، ابن عايد ، راعي الوكالة [١٣٠] .

أما فيما يتعلق بنفسه فقد صرح ابن لعبون بذكر اسمه محمد أو استعار بذلك [١٣١] بقوله ابن حمد أو ابن مدلي (مدلج) ٠٠ ومرة ذكر ابن لعبون ، وربما قصد نفسه بقوله : اخي لطيفة ، وكذلك راعي المنظوم ، وبارع الزين ٠٠ أما فريجة فهو اسم ربابته التي كان ابن لعبون يلجأ إليها لتفرج همومه ، ويبثها لواعجه وأشجانه وغرامياته » [١٣٢] .

---

(١٢٩) لا أعلم خلافاً حول « علي » من هو ؟ ٠

(١٣٠) هو محمد كاظم بدلالة السياق ٠

(١٣١) التعدية بحرف الجر لحن هاهنا ٠

(١٣٢) ابن لعبون ص ١٠٣ – ١٠٩ ٠٠ قال أبو عبدالرحمن : وقيل : إنها امرأة دفافة .

[كل شيٍّ غـــــيـــــر ربـــك والـــــعـــــمـــلْ
لـــــو تَـــزخْـــرف لِكْ مـــــرده لـــــلـــــزوالْ
مـــــا يِـــــدُوم الـــعـــــز عَـــزَّ الـــلـــهْ وجلْ
في عـــــدالٍ مـــــابـــــدا فـــيـه المـــيـــــالْ
والـــــذي يـــنـــــقـــــاد بـــزمـــــام الامـــلْ
لا تـــغـــبْـــطـه في زغـــاتِـــيـــر الـــهـــبـــالْ

ابن لعبون

الفصل الثاني

أعلام آدمية ومكانية في حياة ابن لعبون وشعره

١ - الزبير، وابن لعبون، ولمحة عن تاريخها في عهد ابن لعبون :

قال الدكتور ابن لعبون : « ارتبطت مشيخة الزبير رسمياً بدولة الخلافة العثمانية ، وتميزت علاقتها بالدولة بميزات خاصة ، وكان للوضع الجغرافي والديني لبلد الزبير والدولة أكبر الأثر في تحديد معالمها .. وقد رسمت أول اتفاقية بين أهل الزبير والدولة ملامح تلك العلاقة المتميزة ، فقد أبرم الشيخ يحيى بن محمد بن زهير ، والقاضي إبراهيم بن محمد بن جديد في سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) مع الوالي العثماني على العراق اتفاقية من شروطها أن تتمتع إمارة الزبير باستقلال ذاتي ضمن سلطة الدولة العثمانية ، وأن لا تتدخل حكومة البصرة في سياسة الزبير الداخلية ، وأن يعفى أهل الزبير من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ، وأن تقوم الدولة بتزويد إمارة الزبير بوسائل الدفاع عن نفسها خارجياً وإخماد الفتن داخلياً .. في إطار هذه الاتفاقية انصرف أهل الزبير لإدارة شؤونهم السياسية والإدارية والاقتصادية دونما تدخل من متسلمية البصرة إلا في حالات تستدعي التدخل عندما يستنجد بها حكام أو جماعات لإخماد فتن أو دعم حاكم أو مساعدته لاستعادة سلطته .. وقد تصرف ضمن هذا الإطار متسلما البصرة محمد كاظم آغا، وعزيز آغا خلال الأحداث التي جرت إبان الصراع على السلطة بين آل ثاقب وآل زهير ، وما حصل من فتن بين أهل حرمة وحريملاء مما استدعى التدخل المباشر للمتسلمية » [١] .

وقال الأستاذ الرقراق : « تقع بلدة الزبير جنوب غرب مركز مدينة البصرة في جنوب العراق وتبعد عنها اثني عشر كيلو متراً تقريباً .

(١) أمير شعراء النبط محمد ابن لعبون ص ٥٦ – ٥٧ عن إمارة الزبير ١/١١١ – ١١٣ .

وتتمتع البلدة بموقع جغرافي جيد حيث تتشعب منها الطرق البرية إلى مختلف المناطق المجاورة كالكويت والمملكة العربية السعودية ومدينتي البصرة والناصرية ، وقد سلكت تلك الطرق قديماً قوافل الحجاج والتجارة .

ثم إن موقعها الحالي بالقرب من خور الزبير أكسبها قديماً أهمية تجارية أخرى ؛ حيث كانت تمر بها البضائع التجارية التي تُنقل من الكويت والهند بالسفن الشراعية عن طريق خور الزبير .. إضافة إلى أن موقعها عند حافة الهضبة الصحراوية جعل منها سوقاً يتبادل فيه سكان الهضبة الصحراوية البدو منتجاتهم مع سكان السهل الجنوبي (البصرة) ؛ مما أدى إلى ازدهار تجارتها أيضاً .

أما من الناحية الاجتماعية فموقعها عند النهاية الطبيعية لطريق وادي الباطن جعل منها مستقراً للجماعات التي هاجرت من نجد إثر فترات الجفاف هناك التي كونت المجتمع الأول لبلدة الزبير ، وتقدر مساحتها بـ ٩٨٥٧ كم٢ تقريباً »[٢] .

قال أبو عبدالرحمن : ولقد أسلفت في الفصل الأول من هذا الباب تفصيل أحوال مشيخة الزبير ، ولابد من تلخيص ما سبق والإضافة إليه هاهنا .. لقد كان أول شيخ للزبير يحيى بن محمد بن سليمان بن زهير .. تولى سنة ١٢١١هـ بدعم من والي العراق في بغداد سليمان باشا .. وظل شيخاً للزبير حتى تولى المشيخة إبراهيم بن ثاقب .

وكان يحيى قد وفد إلى الزبير عام ١١٦٠هـ ومعه ابناه يوسف وسليمان [٣] .

وكانت الزبير كغيرها من مناطق جنوب العراق بعهدة آل سعدون أمراء المنتفق.. وفي عام ١٢١٣هـ نصب حمود الثامر السعدون على مشيخة الزبير إبراهيم بن ثاقب بن وطبان ، واستمرت مشيخته إلى أن قتل سنة ١٢٣٧هـ .. فتولى بعده ابنه محمد ستة أشهر التجأ بعدها عند الشيخ حمود بن ثامر سنة ١٢٣٨هـ ، فانتخب أهل الزبير يوسف بن يحيى آل زهير شيخاً عليهم .. وفي نفس العام أعاد حمود الثامر محمد بن إبراهيم الثاقب إلى المشيخة ، ومات ابن زهير في سجن

(٢) لمحات من ماضي الزبير ص ١١ .
(٣) إمارة الزبير ٦١/١ ، ولمحات من ماضي الزبير ص ٣٥ .

حمود .. واستمر ابن ثاقب في المشيخة حتى عام ١٢٤١هـ حيث أخرجه أهل الزبير فالتجأ لدى الشيخ جابر الصباح ، وتولى مشيخة الزبير ناصر بن ناصر آل راشد، ولكن الحاكم الفعلي علي بن يوسف بن زهير .. وقتل ناصر سنة ١٢٤٣هـ ، فتولى جاسر بن فوزان السميط مشيخة الزبير فترة قصيرة ، فتولى علي بن يوسف بن زهير المشيخة سنة ١٢٤٣هـ إلى سنة ١٢٤٧هـ حيث مات بالطاعون .. وهو العام الذي توفي فيه ابن لعبون .. وأحداث الزبير منذ تولي ناصر الراشد فصلها ابن بشر إلا أنه جعل بداية ذلك عام ١٢٤٢هـ ، والصواب أن بداية ذلك عام ١٢٤١هـ .. قال ابن بشر عن سنة ١٢٤٢هـ : « وفي هذه السنة تأمر في بلد الزبير ناصر بن ناصر بن راشد (وكان قد جلى من حريملاء لما فتحها الإمام تركي بن عبدالله) ، وذلك أن أهل الزبير وقع بينهم وبين أميرهم محمد بن إبراهيم بن ثاقب بن وطبان وغر في القلوب وحنق في الصدور ؛ لأجل ما فتح الله عليهم من الدنيا وزينتها ، وكثرة رحالهم وأموالهم وخدمهم وأعوانهم ، فكثر فيهم التنافس وطلب الرئاسة ، وكان في بلد الزبير تاجر كبير يقال له يوسف بن زهير صاحب بذل وعطاء ، وعنده من الأموال والنخيل في البصرة وغيرها ما لا يحصى ، فلما توفي خلَّف أولاداً أكبرهم اسمه علي ، فقام يحاول طلب الرئاسة ، فاقتضى رأيه أن يجعل ناصراً هذا أميراً ؛ لأنه هو وعشيرته من أعوانه ، والقول والتدبير له .. ثم زادت منافسة علي وتدبيره إلى أن سعى في قتل سليمان بن عبدالله الصميط (وهو من رؤساء أهل بلد حرمة) أناس من آل راشد فقتلوه ، فوثبوا بعد ذلك على ناصر الأمير فقتلوه ، فثارت بينهم الفتن ، وحل بهم البلاء والمحن ، وسيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله [٤] .

قال أبو عبدالرحمن : إذن يكون خروج ابن لعبون من الزبير وقت سلطة علي ابن يوسف بن زهير – وإن لم تكن الإمارة باسمه – عام ١٢٤٢هـ ، أو وقت تأمره عام ١٢٤٣هـ وذلك هو الأرجح لقول ابن لعبون :

يا عبيد خل اللي تشكل بسوقه
شيخ وهو عبد يذكّر بالاعماق

(٤) عنوان المجد ٢/٥٠ – ٥١ .

وقد فصل ذلك ابن بشر بقوله عن سنة ١٢٤٣هـ : وفيها قُتل ناصر بن راشد أمير الزبير ، وسبب ذلك أنه وقع بين سليمان بن عبدالله الصميط من أهل حرمة وبين عبدالرحمن بن مبارك بن راشد رئيس أهل حريملاء الذين في الزبير سباب وكلام عند حفر بئر في بيت الصميط ، فوثب رجال من آل راشد على سليمان وقتلوه ، فكمن لناصر محمد بن فوزان الصميط في بيت في النهار ، فلما خرج ناصر للسوق اعترضه فقتله .. فظهر آل راشد وأتباعهم وآل زهير وأتباعهم من البصرة وقدموا الزبير ، وحصل مجاولات بين الفريقين ، ثم وقع الصلح بينهم ، واجتمعوا له ، وحضره العلماء والرؤساء والمشايخ ، وكتبوا بينهم سجلاً كتبه محمد بن سلوم الفرضي ، وأودعوه شيئاً عظيماً من العهود والمواثيق .. رأيت سجلهم هذا وحسبت فيه ثمانية وعشرين شاهداً ، وعليه ختمه ، وفيه من الشيوخ عشرة[٥].

(٥) قال أبو عبدالرحمن : صورة الوثيقة بكتاب لمحات من ماضي الزبير ص ٥٤ – ٥٥ .. وهذا نصها من الكتاب المذكور ص ٥١ – ٥٣ : « أما بعد قال الله سبحانه وتعالى وأوصى في محكم كتابه الكريم فقال وهو أصدق القائلين : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال سبحانه وتعالى: (ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب).

وإن الله سبحانه وتعالى لما قدر على سليمان الصميط وقرب أجله قتلوه الراشد في سادس ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ، فلما كان في سادس ذي الحجة قام ابن عم سليمان الصميط فقتل ناصر بن ناصر من الراشد ، فحصل بين الطائفتين شقاق وتنافر والبغي على بعضهم بعضاً ، فلما تعاظم الأمر على الطائفتين ، وثار الرمي، وسلت سيوف ، وتلقتها الوجوه ، وكل حزب تبع حزبه : جعل الله الرحمة والرأفة في قلب فخر الأماجد الكرام متسلم البصرة (عزيز أغا) دام مجده ، فسعى بينهم في الصلح ، ونهى الطائفتين بعضهم عن بعض ، وأمرهم بالاتفاق ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، فحضر عبدالرحمن الراشد وإبراهيم الراشد وفهد الدويرج الراشد وحضر أحمد الضاحي وجاسر الصميط .. الجميع في بيت الحاج عبدالرحمن الراشد ، فبينوا أسباب الفتنة أن سليمان الصميط قتل ناصر الراشد ، وفي أسباب هذه الفتنة قتل بعدهم رجال وانصاب (جُرح) رجال وهم على خطر ، ومقصودنا دفن ما مضى ، وإسقاط دعوى ما تسبب بأسبابهم من قتل وجروح بيننا ، ولم يبق لأحد على أحد منا دعوى .

ثم إن عبدالرحمن الراشد أعطى عنه وعن إخوانه وعن جميع الراشد وإبراهيم المحمد فهد الدويرج ٠٠ الجميع أعطوا جاسر الصميط عهد الله وميثاقه أنه لم يبق لنا دعوى على=

= جاسر الصميط ، ولا على إخوانه ، ولا أقاربه من طرف قتل ناصر الراشد ، ولا على ما تسبب في هذه الفتنة من قتل أو جروح ، وكل ما تصدر دعوى فهي باطلة ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، وما سبق ذلك فهو مدفون ٠

ثم بعد ذلك شيخ أحمد الضاحي ، وجاسر السميط ، وعودة بن إبراهيم أعطوا الحاج عبدالرحمن الراشد عهدالله وميثاقه في أنه لم يبق لنا على الحاج عبدالرحمن الراشد ، ولا على إخوانه ، ولا أقاربه دعوى من طرف قتل سليمان السميط ، ولا ما تسبب في هذه الفتنة من قتل وجروح ، وكل ما تصدر من دعوى فهي باطلة ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، وما سبق ذلك فهو مدفون ٠

فكل من الطرفين قبل صاحبه ، وجعلوا الله بين الطرفين رضا وخصماً ومعيناً على من يتعدى حدوده ، والله على ما يقولون وكيل ٠

ثم بعده إن الشيخ علي الزهير أعطى أنه من انصاب (جُرح) في هذه الفتنة أو انقتل في طوارفي وأتباعي فلا على جاسر الصميط ، ولا على إخوانه ، ولا غيرهم دعوى في ذلك ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ٠

ثم بعده إن الحاج جاسر السميط أعطى أنه من انصاب أو قتل في هذه الفتنة في طوارفي وأتباعي فلا على الشيخ علي الزهير، ولا على غيره دعوى في ذلك ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، ثم إن الطائفتين التزموا فيما بينهم أنه من تجاسر منهم على قتل صاحبه فقبيلته تقود القاتل لأهل المقتول ٠٠ وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، فإن امتنع الباغي عن القود فجميع متشخصي أهل بلدة الزبير مع عشايرها ورؤسائها وعامتها يقومون على الباغي نصرة للمبغي عليه ، والله على مانقول شاهد ووكيل ٠

حرر غرة محرم سنة افتتاح أربع وأربعين ومائتين وألف ٠

وشهد بذلك شيخ عبدالله بن جاسر ، شهد بذلك عبدالله بن جميعان ، شهد بذلك شيخ أحمد بن صعب ، شهد بذلك شيخ محمد بن حيدر ، شهد بذلك شيخ عثمان بن محلا ، شهد بذلك شيخ عيسى ، شهد بذلك شيخ محمد بن سلوم ، شهد بذلك الحاج عيسى الزهير ، شهد بذلك الحاج سليمان الفداغ ، شهد بذلك الحاج عبدالوهاب الزهير، شهد بذلك الحاج سلطان الفداغ ، شهد بذلك حمد الربيعة الوطبان ، شهد بذلك زيد الربيعة الوطبان ، شهد بذلك محمد الفارس ، شهد بذلك عبدالمحسن العبدالكريم ، شهد بذلك يوسف بن شايع ، شهد بذلك أحمد بن مهنا العنيزي ، شهد بذلك عبدالرزاق بن صبيح، شهد بذلك الحاج يوسف الجواسر ، شهد بذلك علي بن حيدب ، ونقله من أصله إبراهيم بن صالح بن عيسى ، وكل واحد من شهود المذكورين قد وضع ختمه تحت اسمه في الورقة التي نقلت منها ٠

قال أبو عبدالرحمن : عدد الشهود أقل مما ذكره ابن بشر ، وابن عيسى نقل عن الأصل ، فلابد أن الأصل بخط ابن سلوم كما ذكر ابن بشر ، وابن سلوم من الشهود ها هنا .

ثم إن آل زهير وآل راشد أرادوا النقض فلم يقدروا إلا من جهة متسلم البصرة ، فدبروا الحيلة في نقضه ، فأرسل المتسلم إلى جاسر بن فوزان الصميط وهو يومئذ رئيس القوم ، فقال له : إنه لا تستقيم رياسة هذا البلد إلا لك ، فأقبل إلينا بأعوانك فأثبتك على الزبير أميراً ، فركب جاسر من الزبير ومعه رؤساء أهل بلد حرمة في بلد الزبير أحمد بن ضاحي ، وعودة بن إبراهيم ، وسليمان بن فداغ ، وغيرهم من الرؤساء .

وانحدر آل زهير وآل راشد إلى نخيلهم في البصرة وكمنوا فيها ، وأظهر المتسلم السب والشتم لهم لتطمئن قلوب أهل حرمة للقدوم إليه ، فجاء رجال إلى جاسر وأنذروه وحذروه ، ولكن طلب الرياسة خمر وسكر ، والمقادير تغلب التدابير ، فدخل جاسر وأعوانه على المتسلم وقد جعل لهم كميناً من عسكره في سراياه ، وأقبل آل زهير وآل راشد وكمنوا في النخيل القريبة من السرايا ، فلما دخلوا على المتسلم ظهرت عليهم العساكر ، وأمسكوا الرؤساء في القيود ، وأخرجوا من كان معهم من أتباعهم ، ثم خنقوا جاسراً ورموه من عالي الجدار ، وصادر الباقين وعذبهم بأنواع العذاب ، وأخذ منهم من الأموال كثيراً لا يحصى ، ونهبوا بيوتهم ، ثم تفرقوا في الكويت وغيره ، وقدم في الزبير أميراً علي بن يوسف بن زهير وصار له فيه قوة وشهرة ، فتعاظم أمره ، فعزل آغا الذي غدر له عن البصرة ، وهرب إلى بلدان كعب ، وجعل مكانه صاحب المتصرف درويش آغا ، فلم يزل علي أميراً في تلك البلد الزبير حتى جاء الوباء الذي أهلك الزبير ونواحيه ، ومات علي فيه ، وصار مكانه أميراً أخوه عبدالرزاق ، ثم صار هلاك آل زهير وقتلهم على يد أعوانهم آل راشد المذكورين ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله [٦] .

قال أبو عبدالرحمن : بل كان هلاكهم على يد آل سعدون حلفاء آل ثاقب ، فقد حاصر عيسى بن محمد بن ثامر السعدون الزبير سنة ١٢٤٩هـ بدعم من جابر

(٦) عنوان المجد ٢/٦٠ – ٦١ .

العبدالله الصباح ، فأعدم ابن زهير وإخوته الأربعة ، وأعاد تنصيب محمد بن ثاقب شيخاً في الزبير [٧] .

قال أبو عبدالرحمن : هكذا ذكر الدكتور ابن لعبون ، وربما كان دعم جابر لابن ثاقب اللاجئ عنده .. أما عيسى فهو شيخ المنتفق يومها .

وأما آل سعدون المسيطرون على جنوب العراق : فعمدتهم حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي الحسيني المتوفى سنة ١٢٤٧هـ في بغداد محبوساً وكان كفيفاً .. ولاه سليمان باشا على بادية المنتفق سنة ١٢٠١هـ ، وحصلت بينه وبين ابن عمه ثويني بن عبدالله حروب .. وقد عزله سليمان سنة ١٢١١هـ ، وولى مكانه ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع ، وقد قتل ثويني مطلع عام ١٢١٢هـ ، وكانت ولايته سنة ١٢١٢هـ حتى عام ١٢٤٢هـ حيث عزل بابن أخيه عقيل بن محمد بن ثامر ، وقد قتل عقيلاً أبناء عمه حمود عام ١٢٤٧هـ [٨] .

وقد ذكر ابن بشر وابن عيسى أن عقيلاً في ذلك العام حارب عميه حموداً وراشداً حتى ظفر بهما ، فأمسكهما وأرسلهما إلى الباشا ببغداد ، واستقل بولاية المنتفق .

وفي عام ١٢٤٧ ذكر ابن بشر وابن عيسى أن الباشا علياً عزل عقيلاً وولى أولاد حمود ، وأن عشائر المنتفق انقسمت بين عقيل وأولاد حمود ، وصارت الحرب بينهما قرب سوق الشيوخ ، وكان مع ماجد شمر والظفير ، فقتل عقيل ، وهزم قومه، وشاخ ماجد بن حمود حتى مات بالطاعون .

(٧) أمير شعراء النبط محمد ابن لعبون ص ٥٨ .

(٨) قال أبو عبدالرحمن : لقد حققت النصوص المتعلقة بآل سعدون والمنتفق الواردة في مجلة لغة العرب في الطبعة الثانية من كتابي « لغة العرب ورئيس كتبتها أنستاس الكرملي » بالاشتراك مع الدكتور أمين سليمان سيدو .

قال أبو عبدالرحمن : الطاعون وقع آخر عام ١٢٤٧هـ .. وذكر ابن عيسى أنه شاخ بعد ماجد عيسى بن محمد ، وأقره علي باشا ، وأن عيسى حاصر الزبير عام ١٢٤٨هـ ومعه ابن ثاقب واستولى عليها عام ١٢٤٩هـ .

وقال ابن بشر عن سنة ١٢٥٩هـ : « احترق رئيس المنتفق عيسى بن محمد السعدون ، وسبب ذلك أن بيوتهم التي يأوون إليها من قصب يتخذونها في وقت القيظ على شاطئ الفرات ، فينزلونها إلى أن يظعنون عنها مع أول نزول المطر ، فيبنون الخيام وبيوت الشعر على عادة العرب ، فاتفق تلك الليلة أنه سرى إلى بيته الذي ينام فيه ، وعنده فنر ، فنام مع أهله ، ونسيت الخادم الفنر أن تطفئه ، وتركته معلقاً على ذلك القصب المحكم المشدود الذي كالجدار ، فعلقت النار فيه فاضطرمت في البيت وهو في نومته مع أهله على سريره ، فما استيقظ إلا وقد شملت النار جميع البيت وليس له مهرب ، وعليه باب محكم ، والبيت فيه كثير من العظام والدهن والفرش وغير ذلك من الآلات ، فهرب إلى أسفل البيت بين صناديق رجاء أن ينجو أو يأتيه من يخرجه ، فلما ظهرت النار في البيت ورأوها واجتمعوا لها ، وأرادوا أن يسطوا عليه ليخرجوه ، قال لهم رجل معهم : إن الشيخ خرج .. كلهم سمعه ورأوه، فذهبت الرجال من كل جانب يدورونه ، ويسألون عنه ، فلما لم يجدوه طلبوا الرجل الذي قال لهم فلم يروا له أثراً ، ولا سمعوا له بخبر ، واحتاروا يتساء لون بينهم ، وإذا هم يرون النار الخضراء في جانب البيت فظنوه فيه فأطفأوها بالماء ، فإذ يجدونه قد احترق إلى مجمع فخذيه ، فأخذوا باقيه ودفنوه ، وإذا بزوجته نائمة على سريرها قد احترق جانبها الأعلى نسأل الله العفو والعافية .

وكانت سيرته فيما ظهر غير ما كان عليه أسلافه من محبتهم أهل السنة

والجماعة وكراهة الأرفاض وغيرهم من أهل البدع ، بل كان يكرم الأرفاض ويحترمهم ويدنيهم ، وهو في الظاهر على طريقة أهله وعشيرته فيما يدعي ، فالله أعلم .

ثم تولى بعده أخوه بندر فأخذ نحواً من ثلاث سنين من ولايته وحكمهم في ابتداء من الخلل ، ثم مات وولي بعده أخوه فهد ، فلم تطل مدته كانت قريب الحول حتى مات .

ثم مرج حكم المنتفق بعدهم تارة في أولاد راشد السعدون ، وتارة في أولاد عقيل السعدون ، وتارة في ولد عيسى السعدون .. يتحاربون ويتقاتلون بينهم حتى هلك منهم أمم .. يأخذ الواحد منهم مدة قليلة ، ثم يأتيه المحارب له فيخرجه ، فيشيخ مكانه ، ثم يذهب المخرج فيجمع له قوة ويزيد الحكام خراجاً ، فيظهرون معه عسكراً فيأتي صاحبه ويخرجه .

ودام ذلك بينهم إلى هذه السنة الموافية سبعين بعد المائتين والألف وأمرهم في مروج ، والثابت المستقر في السنة المذكورة ولد راشد بن ثامر بن السعدون » [٩] .

وتولى منصور باشا بن راشد بن ثامر السعدون – المتوفى سنة ١٣٠٤هـ – عام ١٢٦٥هـ .. انتزعها من فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر .. وخلفه فهد بن علي بن ثامر ، ثم أعيد ، ثم خلفه ابن أخيه ناصر بن راشد ، ثم أعيد .

وتولى بندر بن ناصر بن ثامر – المتوفى سنة ١٢٨٠هـ – عام ١٢٧٧هـ ، وقد نحي قبل وفاته بيوم .

وتولى ناصر باشا بن راشد بن ثامر – المتوفى سنة ١٣٠١هـ – عام ١٢٨٢هـ.

وابن لعبون جاء إلى الزبير عام ١٢٢٢هـ ، وخرج منها عام ١٢٤٣هـ – وهو الأرجح – ، أو عام ١٢٤٢هـ .. إذن بقاؤه في الزبير عشرون عاماً أو تزيد ببعض الأشهر .. جاء والمشيخة لإبراهيم بن ثاقب .. وظلت الأمور مستقرة لإبراهيم ، ثم

لابنه محمد من بعده حتى عام ١٢٤١هـ سوى أشهر من عام ١٣٣٨هـ تولى فيها المشيخة يوسف بن يحيى آل زهير ٠

---

(٩) عنوان المجد ٢/٢٢٧ – ٢٢٨ ٠

وحدثت فتنة عام ١٢٤١هـ انتهت في أيام حيث لجأ ابن ثاقب إلى الكويت ، وتولى المشيخة اسماً ناصر الراشد – والحاكم الفعلي علي بن زهير – حتى عام ١٢٤٣هـ ، فتولى المشيخة أشهراً جاسر بن فوزان السميط ، ثم تولى في نفس العام ابن زهير حتى مات سنة ١٢٤٧هـ ٠

وقصيدته التي مطلعها :

البارحة بالدار صارت ضغاين
بيني وبين الدار ومكالمٍ شين

مع ضعفها وركتها هجاء مر مقذع للزبير ، ويظهر أنه رقيق الحال مادياً ٠٠ يقول :

يا دار من بد القرى والمداين
اشوف من غاليت بك علقني الدين

ومن الراجح أنه قالها أوائل سكناه ، قبل أن يعلق بلهوها ونعيمها ، وأن علوقه بالدار تأخر زمناً كثيراً لقوله :

احرم وحلل وأغابي وابراين
يا لعنبوك اركض معك دوم لا وين

وإنما علق بهوى مي عام ١٢٢٨هـ بعد سكناه الزبير بستة أعوام ٠

وعلى أي حال فهذه النونية من شعر الصبى السخيف الذي لم يشتهر ٠

وقد ذكرت خلال فقرات هذا الفصل الشعر الذي قاله وهو في الزبير ، والشعر الذي قاله بعد خروجه منها ٠٠ كما ذكرت الشعر الذي قاله في مدح الزبير، والشعر الذي قاله في هجائها ٠

والأصل مدحه للزبير ، وتغنيه بمرابعها كما في قصيدته البائية التي بعث بها من الكويت إلى ابن ضاحي، وكقصيدته الفائية بوصل الهاء التي قالها بعد مغادرته للزبير ببضعة أشهر ثم عودته إليها :

دار الخـــدم والـــكـــرم والـــضـــيف
دار المـــنـــاعـــيـــر مـــعـــروفـــة
دار الـــعـــجب والـــطـــرب والـــكـــيـف
والانـــس والـــــفـــن ودفـــــوفـــه

وأما هجاؤه للزبير فجاء في تأزمات نفسية مرت بالشاعر وهو في الزبير على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : منذ سكناه عام ١٢٢٢هـ إلى وقت علوقه بمي ، وانتظام أجوائه الجمالية ، وذلك عام ١٢٢٨هـ ٠٠ فهو في هذه الفترة مغمور ، وغير منصهر في المجتمع ، وإنما علاقته بأبناء عمه أنه جاءهم صغيراً ، ولا خطر لصغير حتى تظهر مواهبه وآثارها ٠٠ ولا نعلم ما هو العمل الذي كان يعمله فيقتات منه ، وإنما علمنا أنه في ضيق حال بدلالة القصيدة النونية المذكورة آنفاً التي قالها في هذه المرحلة ٠

والمرحلة الثانية : منذ عام ١٢٣٩هـ حيث زواج مي من الديلمي ، ورغبة أهلها عن تزويجها منه ، وإحساسه بجفاء الكبراء له ٠٠ لا سيما من أهل الجاه والتدين الذين لم يرقهم لهوه ، وأحس أنهم يستحلون الكلام فيه ، وينالون من سلوكه في مجالس الزعماء ، فجاشت قريحته بالقصيدة البائية التي مطلعها :

لـــو بـــي اتـــمـــنى قـــلـت يـــالـــيت من غـــاب
عـــمـــا جـــرى بـــالـــلـــوح والـــلـــي كـــتب بـــه

فقد تبرم بالمجتمع الزبيري ، وصب جام غضبه على الوسط المحافظ مع مرارة من الشكوى ومعاتبة القدر ٠٠ وذلك واضح في المطلع وما بعده إلى أن قال :

رجـــالـــهم مـــايـــســـفـــه الا الى شـــــاب
مـــثـــل الـــقـــرع يـــفـــســـد الى كـــثـــر لـــبـــه
صـــدوقـــهم عـــنـــدي خـــنـــوب وكـــــذاب

والبحر مثل الليل ما ينشرب به
ضراغم عند الخوندات واطواب
والى طلع للدو تلقاه دَبَّة
والا فراعي نجد من طاله هاب
تراه مثل السيف ما ينلعب به
اهل العمايم والنمايم والاصحاب
مد الحبل في ذمهم واحتطب به

ثم قال متوجعاً من رحيل مي إلى المشرق :

خف القطين وحين قوضن الاحباب
هبت لنا من نسمة الشرق هبه
حامل هواها القلب في ليل الاتعاب
حمل ثقيل ما ادري وين ابي اذبه
لو صار في قبرٍ ومستور بتراب
كان الحقه يا ابن حمد واصطحب به
ينفع صريعٍ فيه بالظفر والناب
ما ينفع المبطون في النزع طبه

وقد قالها وهو في الزبير .

وبين المرحلتين قال قصيدته الدالية بوصل الهاء مازجاً بين البرم من الزبير وأهلها ، ومرارة يأسه من مي ، وكان يطمع أن تكون زوجته :

ارى الدار ما توفي بماضي وعودها
ولا عادها اللي كان فيها يعودها
ارى الدار لي غدارة تمنع الوفا
غرور وتنقض ما مضى من عهودها
لك الله ما تبقى على حال واحدة
ولا ينعرف صكاتها من سعودها
شقاها على طول الليالي ملازم

والاسعاف ما تبقى على ما يفودها
هي العلة الصما هي المحنة التي
تحير النواظر في معاني ركودها
الا يا غريم صار فيها مولع
دع الدار تفعل ما تشا من حقودها
ليا اقبل سعدها قابله ضد مابها
من السوّ ونحوس الليالي وكودها
ولا تامن الصكات فيها فكم لها
تجاوز عن العادات مجرى حدودها
تساعد بها من ساعفت له ولا بقى
على حالة شاف الطنى من كمودها
فكم حاذق ما نال فيها مراده
ولا طاوعت له في مجاري سنودها
وكم ضاقت الحيلات فيها على الذي
نشا ما نشا فيما نشا به حسودها
فكم طاوعت من لا لها فيه صالح
جبان وترخص ما غلا من نقودها
فيا الله علام الظواهر وما خفى
وما حل باضمار الليالي وسودها
ينصاك من لا يقدر اليوم حيلة
ولابه على صكات بقعا ردودها
رجا منك تفريجٍ لما حلّ بالحشا
بحالات عسرات تشعَّب عدودها

ويظهر لي أن ابن لعبون قال شعراً فيما بين موت زوجها الأول وزواجها من

الثاني يبث ألمه ؛ لأن مياً لم تكن من نصيبه ٠٠ ولما ترجح له اليأس منها قال قصيدته الدالية بوصل الهاء مازجاً بين العتب على الزبير وأهلها ومرارة اليأس من مي ٠٠ قال بعد معاتبته للدار :

مضى ذا ولي قلب بالاحباب مولع
بزينات غضات الصبايا ووْرودها
حسينات مجمولات بالزين والبها
غضيضات للطرف الحور في صدودها
عرايسْ من الخفرات يبدن لي الرضا
ويورن شامات الغوى في خدودها
ربن بالتماري بينهن ينفح الهوى
ويسبن بوجنات تفتح ورودها
تعنَّيت منهن بالذي صاب مهجتي
من الغانيات الغيد غضًّا عنودها
مهاة تشابه للجوازي وجيدها
تليع ويزهى ما زها به عقودها
على مفرع زانه حياها وحسنها
والالحاظ تمضي بي وهي في غمودها
كساها الولي ثوب الجمال وحسنها
على نابي الردفين ضافي جعودها
لها غرة يا ليت من شم فرعها
تفرَّع لها زين البها في وجودها
تكامل بها من لا حوى الزين وصفه
بشارات طبع ما حونه ضدودها

لـهـا في خـفي الـلـب والـقـلـب والحـشـا
وداد تـنـاهـى عن سـمـايـا ودودهـا
عـلـيـهـا بـداجي مـبـهـم الـلـيل سـاهـر
اقـاسي هـمـوم يـنـهـش الـقـلـب دودهـا
الا واشـقـا عـيـني وروحي ومـهـجـتي
الا واعـذاب الـقـلـب ممـا يـرودهـا
تـصـيـد الحـشـا مـني بـطـرات لحـظـهـا
كـمـا صـيـد غـزلان الـظـوامي فـهـودهـا
سـألـتـهـا بـالـوصل واشـتـف خـاطـري
فـإن سـاعـفت وصلٍ فـهـو مـا يـكـودهـا
رجـيـتـه ولاني ظـافـر به كـمـا الـذي
رجـا من سـراب طـافح ريٍّ جـودهـا
عـلـيـهـا بلابـيـل الحـشـا غـردن لـهـا
بـتـغـريـد مـفـجـوع فـجـنـه حـيـودهـا
فـلـولا عـزومي والـعـزا يـنـعش الـفـتى
تـخـيـرت حـيـضـان المـنـايـا وورودهـا
لـيـا عـاد لا وصل قـطـعـنـا به الـرجـا
ولا سـلـوة عـنـهـا وهـذي شـهـودهـا
صـفـارٍ وفـكـرات وهـمٍّ تـراكـب
وفي مـهـجـتي نـار تـلـظى وقـودهـا
واجامل بـحسن الصبر من حيث يـنـتـهي
نـهـايـات غـايـات غـشـاني عـقـودهـا
وانـا من هـوى ريـانـة الـعـود مـا روى
نـظـيـري ولي نـفس هـواهـا يـقـودهـا

فلا عـاد يـا زيـن الـصـبـايـا تـسـاعـد
غـريم غـدا في الحب مـفْـتَلْ قـيـودهـا
تـطـاول عـلـيـه الـصـد والمـنـع والجـفـا
ولا عـاد بـاقي غـيـر زورة لحـودهـا
واصـلـي عـلـى خـيـر الـبـرايـا مـحـمـد
عـدد مـا يـحن من الـنـواشي رعـودهـا

والمرحلة الثالثة : حادثة إخراجه من الزبير لأسباب ظاهرها اللهو والتشبيب ، وباطنها العداء المستحكم بين ابن لعبون وابن زهير ٠٠ وهاهنا صب جام غضبه على ابن زهير والمجتمع المحافظ من أهل الزبير الذي وشى به لدى أهل الحل والعقد، فقال في ذلك قصيدته القافية التي خاطب بها ابن ربيعة : ذا حس طار أو ضميرك خفوقه ٠

وقال قصيدته الدالية التي وجهها لابن ربيعة ، ومطلعها : الله من ليل سرى يا بن عايد ٠

وجذور هذه المرحلة بدأت بعام ١٢٣٨هـ حيث عاد محمد بن إبراهيم الثاقب إلى المشيخة للمرة الثانية بعد أن قُتل أبوه إبراهيم فأزاح يوسف الزهير – والد علي– عن السلطة بمعاونة حمود بن ثامر آل سعدون ، فقال قصيدة عن الأمس حيث أجلي محمد بن ثاقب من الزبير ، وقبل الأمس حيث قتل أبوه إبراهيم ، وتخوف من يومه وغده لجفاء بن ثاقب ، وتصديقه الوشاة ، فأبدى ابن لعبون برمه بالمجتمع الزبيري ، وعرض بابن زهير ٠٠ يقول ابن لعبون :

قـبل امس انـا حـيـران وامسٍ مـسـايمْ
والـيـوم مـشـتـانٍ وبـاكـر ابي اسـيم
بـرق الجـفـا مـنـي لْـحـي جـرايـم
وانـا بـهـمٍّ عـن طـريـق الملازيـم

ادخل عـلى الـله عن جـمـيع الـهـضـايم
وبـكـاف هـا يـا عـين صـاد وحـامـيم
عن مـشـخص مـا عـاضـني فـيه سـايم
بـاربع عـشـر شـاخـة وعـشـرين دهـنـيم

يريد بالمشخص نفسه ، ولا يريد مياً كما توهم ذلك بعض الشراح .

بك يـا عـيـاض الـكل يـا ابـا الـغـنـايم
يـا عـون من سـلـوه عـنـك الملازيم
اهـل الـتـهـزي والحـكـي والـنـمـايم
عـقـبك غـدوا شـتـان يـا بـو ابـراهـيم
ومـبـرقـعـين بـين ضـاحـي الـولايم
غـنت بـه الـركـبـان جـوف الـديـاديم

ولعله أراد بضاحي الولائم – على سبيل الجناس – ضاحي بن عون ، أو ابنه أحمد .

واستمر يعتب على ابن ثاقب ، ويهجو المجتمع الزبيري الذي نغص حياته الفنية بالنميمة :

صـار الـنـبـا لي مـنك ضـيم وظلايم
من مـعـشـر عـنـدي رضـاهم مـواثـيم
رجـالـهم يـشـقـى بـه الـلـي يـزايم
لـو هـو كـبـر راسه فـيـحـتـاج تـعـلـيم
يـقـظـانـهم عن راعـي الـرشـد نـايم
نـومـة عـروس في غـدان الـبـراسـيم
نـاديـتـهم قـلـت اقـعـدوا يـا الـبـهـايم
واسـمـعت لـو نـاديت حي بـهم خـيم
ان كـان سـوق الجـود بـحـمـاك قـايم
والـفـضل عـنـدك له مـقـام وتـعـظـيم

فـــهـــو الـــذي زهـــدوه زهـــد الـــعـــمـــايـم
وابْـيع من اخـوة يـوسف له ضـحى سـيم
هـــبـــوبـــهـم وان كـــان هـــبت ســـمـــايـم
يـــا من هـــبـــوبه لـي نـــسـيم وتـــنـــعـيم
ذقت الـشـرى بـالـكـاس والـهـجـر دايم
امـــر من كـــاس الـــشـــرى بـــالـــزراديم

ثم أخذ يعرض بعلي بن زهير – الذي أبعد ابن ثاقب أباه عن السلطة – ، ويهجو ذلك المجتمع ، ويغدق المدح لابن ثاقب :

واعـــجب لـــغـــوج في حـــديـــثـه مـــرايـم
يـــبـغـى يـجـاريـــني بـرسم المـنـاظـيم
يـقـصـر عن اوصـافك طـويـل الـقـوايم
والى عـثـر بـالـقـاف يـحـتـاج تـعـلـيم
تـــبـــرد لـــهـــا أول حـلات الـــوســـايـم
ولا طـــلـــع لـي فـــيـه حل وتحـــريم
واعـجب مـنـه حـاشـاك خـطـو الـفـدايم
نـــاس تـــرى تـــوخـــيـــر حـال وتـــقـــديم
يـشـوف لي مـا شـفت من شـوف حـايم
بـالمـعـجـزات وبـالمـراجـل مـداقـيـم
ان كـانـهم فـيـمـا ادعـــوا بـالجـرايـم
فـيـهم شـيـاطـين فـعـنـدك مـــراجـيـم
وان كـان لـبـسـوا في جـمـيـلك عـمـايم
فـانت المـقـدم في الـعـمـايم كـمـا الـسـيم
صـغـرت بـعـيـنـك يـا عـظـيـم الـعـظـايم
من اسـود الـنـقـطـة حـدر دارة الجـيـم

اصـطى من الـضـرغـام وامـضى عـزايم
واقـطع من الـصـمـصـام واكـرم من الـديم
مـعـطي الجـسـايم ومْـهـيـوب الـنـسـايم
عـوق الخـصـيم وشـوق من كـنه الـريم
لا زلت مـيـمـون حـذاك الـنـعـايم
تـصـلـح زمـان مـا لجـرحه مـراهـيم
عـدم الـطـبـيب ولا لـوصـله تـلايم
قـبـلك وهـو مـسـتـضـعف الحـال ويـتـيم
بـاسـمى حـبـيـب ظـلـلـتـه الـغـمـايم
واقـرب قـريـب كـلـم الـله تـكـلـيم
يـرفـع لـشـانك مـثـل خـفـضه عـلايم
نـاس عـلى كـسب الـدنـايـا قـواديم
وقفٍ عـلـيـك ومـا لـعـن الحـمـايم
مـني عـلـيك ازكـى الـتـحـيـة وتـسـلـيم

وآل راشد لم يتولوا السلطة بعد ، ولم يكونوا يومها حلفاء لآل زهير آل ثاقب وآل سعدون ، فلا عجب في مدح ابن لعبون لابن ثاقب خصم قومه فيما بعد .

وهو يربط مدائحه للزبير ، وتغنيه بمرابعها بوجود بني عمه بها ، وذكريات مي:

يـا دار ربـعـي عـسـاك الـريـف
تـرتـع جـوازيـه وخـشـوفـه
لي فـيـك غـصن يـهـيـف يـعـيـف
مـحـبـتي فـيـه مـخـلـوفـه

وكلمة يعيف قلقة هنا .. فإما أن يكون يعيف بمعنى يعاف .. أي أنه ليس كل رجل يملأ عينه .. وليس المعنى أن الآخرين يعافونه .. وإما أن تكون الرواية غير

محققة ، فيكون مثلاً كرر يهيف مرتين ٠

ومما قاله بعد إقامته الأخيرة بالكويت قصيدته التائية التي تقطر حسرة على أيام لهوه بالزبير ، وقد بعث بها إلى ابن عمه ابن ضاحي :

لـو بـي اتـمـنى قـلت يـا لـيت من مـات
حـيث الـطـرب ومـزاح الاحـبـاب فـاتـه
او يـقـلب الحـزن الـطـويل الـذي فـات
يـنـفـاه فـي قـلب الخـلـي وعـداتـه
يـفـعـل بـونـات تـقـافـى بـونـات
مـا يـفـعـل الـشـيخ الـكـبـيـر بـونـاتـه
يـا غـابـط راعي الـهـوى لك بـلـذات
يـنـبـيك عن مـضـمـون غـبـنـه سـكـاتـه
ما اخفى نضيح العين وابدى البشاشات
الا يـخـاف مـن الـعـدو وشْـمِـتـاتـه
حـكـى وداع الـبـين يـبـغـى المـراعـاة
واعـطـاه مـنـضـوخ الـنـيـا في حـكـاتـه
يـقـرا فـرامـين عـلـى الخـد وآيـات
خط بـقـرطـاس الـدهـر من دواتـه
امك وابـوك وكـل ذيـك الـقـرابـات
مـا احـد يـسـد الـسـيل عـنـك بـعـبـاتـه
يـا مـجـزعـه دمع جـرى بـالمـداخـاة
ان كـان عـنـدك غـيـر قـلـبـك فـهـاتـه
تـذكـر مـراكـيض مـضت لك وهـيـهـات
مـا تـنـفـع المـذبـوح طـولـة قـنـاتـه
اطـلـب سـوى هـذا الـطـلـب والـذي فـات
غـنـى بـهـا حـادي الـظـعن في حـداتـه

ويلاه لي من غمس الايام ذلفات
تحول ما بين المحب وحياته
وسهام غارات المقادير عجلات
ما ظنها المظلوم تسبق دعاته
وقلوب عشاق كما وصف مقلاة
وقفت على المطلوب تاخذ زكاته
من حين ما دارت فنوني بلجات
ولا لقت ذات شبيهه لذاته
يا لا يمي به لا تحاثي محاثاة(*)
شرواي انا ما الوم من هو مراته
حللت يا عصر غوانيه طربات
حيث المها بوصالهن مطرباته
فيما مضى لي كنني فوق ملات
اقوم قوماته وانام بوناته
وما خطط بيض العماهيج ميلات
الا على دينه وسوّن سواته

وهذا البيت الأخير بداية الانتقال إلى مدح ابن ضاحي .

ورجحت أن موت زوجته كان بالزبير قبل عام ١٢٣٩هـ ؛ لأنه كان يطمع بالزواج من مي ، ومن المرجح أنه لن يقوى طمعه في مثل مي لو كانت معه زوجة ، وقد قال في مرثيته لزوجته :

مضى بوصالها خمسة عواما
وعشر كنها حزاة حازي

(*) أهم المصادر أوردتها هكذا «لا تحاتي محاتاة» ومعناها كما قال خالد الفرج «القلق» وما تزال متداولة بهذا المعنى في منطقة الخليج «المراجعة».

وعلى هذا يكون زواجه بها في حدود ١٢٢٤هـ ، ولوح إلى عذل مي له في بكائه لزوجته ، وذلك سيكون قبيل زواجها عام ١٢٣٩هـ :

عـــذولي بـه عـــنـــود مـــا يـــرامـــا
ثـــقـــيـــل مـن ثـــقـــيـــلات المـــــراز
ابـــو زرق عـــلـى خـــده عـلامـــا
تحـلاهـــا كـــمـــا نـــقـش بـــغـــازي

وهذه الزرق علامة لمي عهدناها في شعر ابن لعبون .

✱✱✱✱

٢ - ابن لعبون ، ومي ، وعواد ، وحاشية مي :

عندما خرج ابن لعبون من الزبير عام ١٢٤٢هـ قال شعراً في مي حدد فيه علاقة حبه لها بأربعة عشر عاماً ، وحدد منها سبعاً بأنها سمينات ، وحدد سبعاً بأنها عجاف ٠٠ إذن السبع السمينات قبل زواجيها بيقين ٠٠ أي منذ عام ١٢٢٨هـ إلى ١٢٣٥هـ ٠٠ وما بعد ذلك فهو السبع العجاف التي وقع فيها زواجها الأول ، ثم زواجها الثاني ٠٠ وهي من عام ١٢٣٥هـ إلى وقت خروجه من الزبير عام ١٢٤٢هـ٠٠ ثم ظل يتوجد عليها وهي في ديلم حتى مات ٠

وزواجها الثاني من الديلمي كان عام ١٢٣٩هـ ؛ لدلالة القصيدة الفائية كما يأتي بيانه ٠

ومي في حياة ابن لعبون كليلى في حياة المجنون ، فقد هام بها ، وأبان شعره أنه من العشاق حقاً ٠٠ والفارق بين الاثنين أمران :

أولهما : أن ابن لعبون لم يفقد شيئاً من قواه البدنية والعقلية والنفسية ٠

وثانيهما : أن ابن لعبون أقل عذرية ، لأنه يحبها حباً جنسياً ، ويفصح بذلك ، ويظهر الأوصاف الحسية ٠٠ وإن كان له إلماحة إلى الجاذبية الروحية بإيماضة خافتة ٠

ودل شعر ابن لعبون على أنه وقع في هواها منذ عام ١٢٢٨هـ ٠٠ أي بعد ست سنوات من مجيئة إلى الزبير ٠٠ وعمره يومها ثلاثة وعشرون عاماً ٠

ومي هذه هي – كما يقول الأستاذ عبداللطيف بن سعود البابطين – هيلة الموسى ٠٠ تزوجها أحد شيوخ المنتفق ، ثم زوجت بعده ماجد الهندي أحد المشاهير في الزبير [١٠] ٠

---

(١٠) من عيون الشعر الشعبي ص ٢٥ ٠

وبين ابن حاتم أن شيخ المنتفق مات عنها ، فخطبها ابن لعبون ، فلم يزوجوه إياها لتهتكه ، وزوجوها أحد تجار العرب القاطنين في بلدة ديلم من إيران على الحدود العراقية ، وكان يحكم هذه البلد عرب من قبيلة الخليفات ، وأكثر سكانها عرب قبل استيلاء إيران عليها [١١] .

وقال الأستاذ عبدالله الخالد الحاتم عن مي : « مي اسم وهمي للحبيب يختفي وراء ه الاسم الحقيقي ، ويروى أن اسمها الحقيقي هيلة لمطابقة الاسمين على حروف الأبجدية بالأرقام ، فمي خمسون ، وهيلة كذلك .

وثمة دليل آخر هو قوله :

والله لولا الحيا واللوم
لاصيح واقول يا هيلة [١٢]

قال أبو عبدالرحمن : الهاء خمسة ، والياء عشرة ، واللام ثلاثون ، والهاء خمسة .. فتلك حروف هيلة ، وجميعها خمسون .

ويرى الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون أن الذي تزوجها بعد شيخ المنتفق أحد أمراء العرب المتغلبين على بلد ديلم [١٣] .

قال أبو عبدالرحمن : هذا هو الأرجح ؛ لأنه من المستبعد زواج عربية بعجمي بعد شيخ من الأشراف ، ولأنها تظعن وتنتجع للكلأ مع هذا الزوج ، فهو بدوي .. وإنما بالغ ابن لعبون في هجائه بالعجمة من جهة البلد لا النسب .. وظهر لي من شعر ابن لعبون أن مياً ذات حشم وخدم ، وظهر أن لها رحلات تتبع الربيع مع

---

(١١) خيار ما يلتقط ١/١١٦ .

(١٢) خيار ما يلتقط ١/٢١٠ .

(١٣) أمير شعراء النبط محمد بن لعبون ص ٣٣ عن كتاب خالد الفرج لخالد الزيد .

أهلها .. فهل كانت حياة أهلها حياة بادية تظعن معهم ، أم كان رحيلها مع زوجها المنتفقي ، وزوجها الديلمي ؟ .

للإجابة على هذا لابد من تتبع شعر ابن لعبون في مي لمعرفة ما أشرت إليه ، ولمعرفة دقائق أخرى من حياة ابن لعبون .. وبإيجاز فشعر ابن لعبون في مي جاء على مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة التغزل بمي وهو ينعم برؤيتها ومحادثتها ، ولعل ذلك في صغرها قبل تحجبها وعزلها عن الرجال .

والمرحلة الثانية : مرحلة تحجبها ، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله :

لا تستبيس ان حجبوها يا عواد
ان كان جاشك بالهوى مثل جاشي

والمرحلة الثالثة : مرحلة زواجها الأول وكثرة انتجاعها .

والمرحلة الرابعة : مرحلة زواجها الثاني ، ويأسه من الزواج بها وهو بالزبير يعاين مرابعها .

والمرحلة الخامسة : مرحلة بُعْده عن مي وعن مرابعها بعد خروجه من الزبير حيث فارقها ولم يعد إليها ، بل توفي بين الكهولة والأشد .

فمن غنائه المبكر في مي قصيدته التي مطلعها :

قالت فريجة وهي بالطاس
مادام بالكاس معلومك

قالها وهو في الزبير ينعم برؤية مي .. يقول ابن لعبون للحمام المغرد :

و الله لاركض عليك بطاس
وتغير قومي على قومك

الا ان زمـط لـي خـــــنـــــين الـــــراس
بـــزيـــارة تجـــلـــي هـــمـــومـــك
وادوي بـخـلـخـــالـهـــا الـــرجـــاس
واقـــعـــدك يـــالـــورق مـن نـــومـك
ابـــو ردوف كـــمـــا الاطـــعـــــاس
ومـــحـــلـــي الـــوسـط مـــهـــضـــومـك
ريـحـــة نـفـسـهـا كـريـح الـيـــاس
ورد وعـــنـــــبـــر ومـشـــمـــومـك

ولا حب لابن لعبون في الزبير غير مي إذا جاء بضمير المفرد ، وهناك إشارة إليها من قوله :

لا بـــاس يـــا ابـــو ثـلاث لـــعـــاس
قـــنـــديـل مـــشـــبـــوب بـــرقـــومـــك

ومن قصائده المبكرة في مي قصيدته التي مطلعها :

عـلامـه مـــا يـــنـــابـــيـــني عـلامـه
ويـــخـــفي مـــا بـــقـــلـــبـه مـن مـلامـه

وغزلها على هذا النسق :

ســواد الـــنـــاس في عـــيـــني عـــبـــاة
وهـي مـصـبـــوغـــة عـــنـــدي عـلامـــة
ولـــهـــا غـــرة كـــالـــشـــمـس وابـــهـى
الى صـــلـى مـــحـــمـــد هي امـــامـه
ومـــنـــهـــا ســايـل شـهـــد مـصـفـى
وبـــين شْـفـــاه هي وايـــا نـــظـــامـه

وكل الـــبـــيض من دونـه بـــوصـــفي
ولا وصـــــلن لحـــــدرٍ مـن حـــــزامـه
وقـــالـــوا نـــال مـنـهـــا مـــا تـمـــنى
وانـا مـا نـلـت مـنـهـا الا الـنـدامـة
تـــواعـــدنـي بـــحـــول عـــقـب حـــول
وتـفـصـلـنـي بـقـولـتـهـا الـسلامـة

إلى أن يقول :

وجـيـد اتـلـع مـنـهـا وجـبـــين
ورفـــراف كـمـــا ريـش الـنـعـامـة

وفي المرحلة الأولى تلذذ ابن لعبون بذكريات حبه أيما تلذذ .. يقول عن منازل مي :

قـضـيـت الـهـوى لي به والاوطـار يـوم انـا
حـظـيـظ ومـيـعـاد اتـلـع الجـيـد لي وافي
اجـــاذب رداهـا يـــوم ثـــوبـي مـن الـهـوى
جـديـد ولا احـتـاجت حـواشـيه لـلـرافي

ويرد في سياق القصيدة جو جمالي وفن دُرَّته مـي :

لـيـال سـنـا لـيـلـه وجـيـه سـوافـر
تـنـيـره ومـصـبـاح ابـلج الـصبح به طـافي

ويقول عن منازل مي أيضاً :

وبـيـت كـمـا وصف الـغـمـامـة رواقـه
ولي عـنـد اهـلـهـا فـيه مـسعى ومـطّـافِ
جـنـوبـه شـمـال في لـظى الـقـيظ بـارد
ومـشـتـاه وان هـبت شـمـال فـهـو دافي

قال أبو عبدالرحمن : قصيدة ابن لعبون الفائية بينت أن عواداً خادم عند مي، أو عند أهلها ٠٠ أو لم يقل :

اهـنـيك يـا عـواد حـيـثـك من الـهـوى

سـلـيم ولا عـنك اكـثـر الحـال بـالخـافي

تـصـابى عـلـى مي وتـدري بـخـلـدهـا

وتـازي وكـنك مـسـتـجـيـر بـالاعـراف

يقول : تدخل عليها كما يدخل الصِّبية – جمع صبي – لا يتحرج منهم أهل الدار ٠٠ فلعله كان صغيراً في سنه ، أو في جرمه ويكتم أكثر سنيِّه ٠٠ أو لعله صبي ٠٠ أي خادم ٠٠ والخادم أيضاً يعرف الدخائل ، فهو عليم بسرها ٠٠ فهو يدخل عليها محتمياً بالعرف حول الصبية الصغار ، أو الصبيان الخدام ٠٠ أو كأنه من أصحاب أهل الأعراف في معرفته بسرِّها ؛ لأنهم يعرفون أهل الدارين بسيماهم٠٠ أو كأنه من أهل منزلة بين بين ، لأنه لا يحس بنعيم الوصل ، ولا يحس بنعيم الحرمان لو هجروه ٠٠ أي لأنه ليس من أهل العشق ٠

ومع علم ابن لعبون أن عواداً سليم من الهوى : فهو لا يزال يفتأ يوبخه على تفويت فرص الوصل – وكأنه يحمل بين جنبيه قلب ابن لعبون – :

يـوم الـعـرب بـالـسفـح يـورونك الـصـفـا

عـنـهم تـنـام فـخـلك الـيـوم تـسـتـافي

قال أبو عبدالرحمن : وأرجح من هذا عندي أن ابن لعبون التفت بالخطاب من عواد إلى نفسه ، فكان توبيخه لنفسه ٠٠ ومن هنا ظن من ظن أن عواداً هو ابن لعبون نفسه ٠٠ وقصيدته التي مطلعها :

يـا مـنـازل مـي في ذيـك الحـزوم

قـبـلـة الـفـيـحـا وشـرق عـن سـنـام

قالها بعد تحجب مي وانتجاعها مع أهلها ، أو بعد زواجها الأول وانتجاعها مع زوجها وعربه ؛ لأنه لم يذكر تحسراً على زواجها ، ولأنه تمنى لم الشمل مع عربها وصويحباتها :

او تلمين الشمل لم الهدوم
ياليالي السعد عودن بالتمام
او تردين لبعض ذيك الهموم
والعرب والكل في ذيك الخيام

وذكر صويحباتها (خادماتها) :

داعجات غانجات لو تروم
كنهن في كنهن بيض النعام

وربما كان ذلك بعد زواجها من أحد شيوخ المنتفق ، ولم يطمع بالزواج منها بعد ؛ ولهذا لم يتحسر على فواتها ٠٠ وعلى التقديرين فهو يتذكر أيام الأنس قبل التحجب :

دار مي يوم مي لي تقوم
قومة المأموم من خلف الإمام
يوم مي تحسب الدنيا تدوم
وان عجات الصبى دوم دوام
في نعيم تحسبه لزما لزوم
مثل منزلنا على ديم الخزام
يوم هي توريك خد به وشوم
يفضح البراق في جنح الظلام

وهذا التلمظ بالوصال والخلط مع صويحباتها وصفه بالعفة عن المحرم الصريح بقوله :

والهواوي من هواهن محروم
غير وصل لا حلال ولا حرام

وعلى التقدير أيضاً فهذه النجعة طالت ، وتقضت سنين حول غيابها بدلالة بكائه للأطلال ، فلم يبق منهن غير أثارة كدق الوشم يستبينه الخبير بالديار ٠٠ وهي متهدمة ينتحب فيها البوم ٠٠ ويقول : يا سنين لي مضت مثل الحلوم ٠

وقصيدته التي مطلعها :

ياخفي اللطف لطفك يا كريم

ترحم اللي اليوم عجز لا يقوم

يبكي فيها منازل مي ، ويحدد هواه بها بأربعة عشر عاماً :

يا محمد سبعة أعوام مديم

بالسفاه وسبعة أعوام تعوم

ومن حسن الحظ أن هذه القصيدة معروفة التاريخ ؛ لأنها في عهد إمارة ناصر الراشد بالاسم ، وقبل خروج ابن لعبون من الزبير ، وذلك عام ١٢٤١ إلى عام ١٢٤٢هـ ، فإذا طرحنا أربعة عشر عاماً من المدتين المذكورتين كان غرامه بمي عام ١٢٢٨ أو عام ١٢٢٧هـ أي بعد خمس سنوات أو ست من مجيئه إلى الزبير ٠٠ ويكون عمر ابن لعبون يومها اثنين وعشرين عاماً ، أو ثلاثة وعشرين ٠

قال أبو عبدالرحمن : إلا أن فائية ابن لعبون في الأمير أحمد بن محمد السديري – وقد قالها بعد خروجه من الزبير بيقين – دلت على أنه قال قصيدته عام ١٢٤٢ ، ففي هذا العام قال ميميته ، وفيه أُخرج من الزبير ، وفيه قال قصيدته الفائية ٠٠ وفي فائية ابن لعبون دلالتان تاريخيتان :

الأولى : قوله عن منازل مي :

لواه الغرام اربع عشر حول والتوى

بسبع سمينات وسبع به عجاف

والثانية : قوله عن رحيلها :

وهـــذي ثـلاث ســـنـــين مـن شط حـــيـــهم

فـلا مـــخـــبـــر عـــنـــهم ولا شـــايـف شـــافِ

إذن عام القصيدتين واحد ٠٠ وحدوث رحيلها منذ ثلاث سنوات يكون عام ١٢٣٩هـ ٠٠ فهل رحيلها مع زوجها الأول أم بعد زواجها الثاني ؟ ٠

لابد أن ذلك بعد زواجها الثاني ؛ لأن الفائية بعد مغادرته للزبير ، وهي تزوجت زواجها الثاني ، وهو بالزبير ٠

ولكن المشكل لدى من قال : إن زوجها هندي : أنه يعلم بأنها بالديلم ، وزوجها حضري ، فكيف تنتجع انتجاع البادية ؟ ٠٠ أو لم يقل :

واظن المخـــايل والـــســـمـــاك ارتـــمت بـــهم

صـوب الحـــجـــر أوهم عن اكـتـارهـا قـافي

إذن يترجح أن زوجها من عرب الخليفات لا ماجد الهندي ، ويكون هجاء ابن لعبون لزوجها الثاني من جهة البلد لا النسب ٠

ونجد صورة مي الحسية في قوله وهو بصدد بكاء أطلالها :

فـلا زلـت مـــخـــتـــاره عـــلى كل مـــنـــزل

الى عـاد حـظي مـنـه مـيـاس الاعـطـاف

عـــلى طـــول خـــبـــري به الى رمت رســمه

طـرقن لـهـا من صـدمـة الـشـوق قـفـقـاف

الى قـــلـت هـــاتـي حـــاجـــة لـي ودنـــقـت

تـنـــثـر لـهـا ثـلـيـل سـاف عـلـى سـاف

ضـحـوك الـلـمى مـدمـوجـة الـسـاق كـالـقـنـا

هـضـوم الحـشـا مـرتج الارداف مـهـيـاف

عـلى مـي جـيـد الـريم والـعـين عـيـنـهـا

وخـــد لـكـنه بـــدر الانـصـاف بـــاوصـاف

نـشـا نـشـوة الـبـردي غـضـيـض قـوامـهـا

وغـــصن الى مـــاهب بـه طـــايف عـــافِ

ومن قوله في رحلات مي وانتجاعها قصيدته التي تغنى فيها بالزبير ، ومطلعها :

حـي المـنـــازل جـنـــــوب الـســيـف

ممـتـــدة الـطـــول مـصـفـــوفـــه

تغزل فيها بمي ، وتلمظ بذكريات الوصل .. ويظهر أن ابن لعبون غادر الزبير أشهراً ثم عاد إليها ، وذلك قبل رحيله النهائي بسنين ؛ لأنه يقول عنها :

عـلـمـي بـهـــا مـن لـيـــالـي الـصـيـف

يـــــوم الـــبـــخـــت نـــاشـــر نـــوفـــه

وأما قصيدة :

حـمـــام يـــالـلـــي عـلـــى نـبـنـــــوب

في شـيـلـــه الـفـــن بـيـطـــاره

فإن صح أنها لابن لعبون فهي مما قاله في المرحلة الثانية عندما حجبوها.

ومربوعته التي مطلعها :

بـــاتـن حـــذاي الـعـــاذلات الـهـــواهي

في سـد بـاب من بـحـور الـهـوى هي

من الجناس المتكلف ، وظاهرها الغزل في مي ، ولكن التكلف أذهب عاطفة القصيدة ، ومنع من كونها ذات مضمون معتبر .

ومربوعته بقفلة التاء التي مطلعها :

ابـغى اتـعـصى امـشي ولا اقـوى يـا عـواد

مـابك مـن الـثـنـتـين وحـدة يـا عـواد

مما قاله في الزبير متغزلاً في مي بعد رحلة من رحلاتها الكثيرة ، وذلك قبل زواجها ، وفيها تكلف الجناس على طريقة الأبوذية .

قال أبو عبدالرحمن : لابن لعبون قصيدة مطلعها :

يـا مـنـازل مـي عن قـبـة حـسن

من يـسـار وعن قـبـر طـلـحـة يمـين

وقد غنى أبياتاً منها عبدالله فضالة بصوته الجميل ، وهي تحسُّرٌ على مرابع مي ، وبكاء لفتوته ، ونضارة العيش :

دار مـي يـوم مـي لـي تـسن

سـنـة الـعـشـاق عـونـك يـا عـويـن

دارهـا يـوم الازار مـورسن

والخـضـر مـشـغـول والـسـروال جـين

وذكر عاذلاً له وعاذلات :

كم عـذلـني في هـواهـا من لـسن

حـاسـد بـالـغـي حـلاف مـهـين

واربـع مـدانـيـات يـلـبـسـ ـن

بـالـعـفـافـة كل مـطـبـوع رزين

بـادرنـي بـالملامـة واجـلـسن

عـنـد راسي كـالخـضـاري له ونـين

عـاذلاتـي في هـواهـا ويـخـسن

هـالخـبـز مـاهـوب من ذاك الـعـجـين

وقصيدته التي مطلعها :

حـي المـنـــازل تحـــيـــة عـــــين
لمـصـــافـح الـنـــوم ســهـــرانـــه

مما قاله في مـي وهو بالزبير يتشوف إلى منازلها على أسلوب التوجد :

والا تحـــيـــــة غـــريـق الـــديـن
مـــعـــســـر وْوافـــــاه ديـــانـــه

وتغزل فيها ، وذكر استحالة سلوه ، وعذل عذاله في هواها ، ثم عاد لغزل حسي ٠٠ وقصيدته التي مطلعها :

قـــال الـــذي بـــالحـــكـي ســلـــوه
ولـف الجـــهـــالـــة وهـــو تـــوه

عتاب لمي جاء إثر إحدى رحلاتها قبل زواجها ، وقد ذكر أن علاقته بها في صغره :

قـــال الـــذي بـــالحـــكـى ســلـــوه
ولـف الجـــهـــالـــة وهـــو تـــوه
طـــفـل بـــزور الـــهـــوى تـــلـــوه
لا فـــيـــه حـــــول ولا قـــــوه

وفي هذا السياق توجع وعتب :

عـــلـــيـــه ثـــوب الـــســقـم شـلـــوه
مـــنـــهـم ولا بـــــرح فـي ســـوه
قـــلـــيـــط قـــــوم وهـــم ذلـــوه
واطـــفـــوا بـــهـــجـــرانـــهـم ضـــوه
في وســط تـــنـــــورهـم صـــلـــوه
لا بـــــارك الـــلـــه بـــــذا الخـــــوة

ركـبـــوا عـــلى ســفـــنـــهـم خـــلـــوه
يـــجـــذب بـــهـم قـــلـص مـــاشـــوة
اظـن نـــســـيـــوا لمـــا قـــالـــوه
حـــنـــا هـل الـــعـــون ومـــروة
والـــلـــه مـــا اظـــنـــهـم يـــســـلـــوه
عـــقـب الـــصـــداقـــة مـع الخـــوة

ويظهر من السياق أنه أحس من مـي تنكراً ، وذلك قوله :

والـــيـــوم يـــوم انـــهـم مـــلـــوه
قـــالـــوا قـــوي عـــين ومـــشـــوه

ومع هذا يتشوق :

مـــا ادري مـــتى مـــاردٍ حـــلـــوه
تـــنـــزل ظـــعـــوني عـــلى جـــوه

ثم يعود إلى تقريع العاذلين ٠٠ وهذا محل العذل ؛ لأنه تعلُّقٌ مع جفاء من الطرف الآخر :

يـــا عـــاذلـــين الـــشـــجي خـــلـــوه
الـــلـــه يـــرشـــد بـــهـم نـــوه
قـل لـلـلـهـيـاسـين لا ســالـــوه
يـــخـــفـي هـــوى مـي ويمـــوه
دلـــيـــت بـــاب ولا دلـــوه
فـيـه الـعـجـاريـف ومـروه

وقصيدته التي مطلعها :

الا يـــا بـــارق يـــوضي جـــنـــاحـه
شـــمـــالٍ وابـــعـــد الخـلان عـــني

وذكره للشمال يدل على أنه قال القصيدة بعد زواجها من زوجها الأول المنتفقي ، والقصيدة حوار مع الحمامة عن وحشة الدار بعد مي وصويحباتها :

أبات الليل في رجوى صباحه

وادق من الندم يالورق سني

على فقدي لغزلان الملاحه

طويلات المعانق سفّهني

ويبكي حلاوة المظهر في ظل ذلك الجو الغزلي :

ولا ثوبي غدا يطرخ شلاحه

يدق القاع ردنه ومتثني

وهي ترف فني أكثر منها حرقة عاطفية ، ولقد عارضها الشاعر عبدالله الفرج معارضة متكلفة ، وليس للقصيدة قضية إلا النسج على قصيدة ابن لعبون ٠٠ يقول الفرج :

علامي ما امل من النياحة

وفر السد مفجوع كما اني

وقصيدته التي مطلعها :

قال الذي هيضه رعبوب

حط الجفا دوبه ودوبي

من غزله المبكر بمي في الزبير وهو ينعم بمحادثتها ٠٠ يقول :

مياس لاهل الهوى محبوب

هرجه عجاريف وعجوب

خده سواة الفنر مشبوب

شفته ضحى مر من صوبي

والجـيـد جـيـد المـهـا مـسـلـوب
والـعـين يـا عـين الاشـبـوب
يمـشي دلـع بـوش بس بـثـوب
وخـيـولـهـا تـلـعـب الجـوبـي
مـدلـول في حـجـتـه مـكـتـوب
يـا اهـل الـهـوى لا تـقـادوا بـي
خـلّـتـني اركـض لـهـا والـوب
مـثـل المـهـيـبـيـل واهـوبـي
حـطـت عـن الـنـوم والمـشـروب
مـثـل الـبـزازيـن بـعـبـوبـي
ومن الـوصل مـا قـضـت لي نـوب
ومـن الـسـقـم فـصـلـتْ ثـوبـي
يـا لايمـي صـدهـا مـا هـوب
رمـح تـلـقـاه بـجـنـوبـي
صـبـري لـبـلـواي صـبـر ايـوب
واحـزانـي احـزان يـعـقـوب
فـان كـان يـحـسب عـليّ ذنـوب
بـوصـال غـيـره فـانـا أتـوب
وان قـال شـيـخ فـانـا مـحـسـوب
عـبـد لـعـيـيـنـاتـهـا نـوبـي
الـطـالـب ارهـى مـن المـطـلـوب
ومـغـالـب الـله مـغـلـوب

وقصيدته التي مطلعها :

قـــالـت فـــريـــجـــة لـــورق نـــاح

يـــــــا مـــــــال ســـــلال الارواح

إحدى القصائد التي يناجي فيها الحمام ليخلص إلى مثل قوله :

اصـــبـح واخـــلـي الـــهـــوى مـــســـراح

وامـــــسي عـــلـى مـي مـــــرواحـي

عـــمـــهـــوجـــة جـــيـــدهـــا وضـــاح

والخـــد مـــثـل الـــقـــمـــر صـــاحـي

قـــضـــيت بـــين الـــهـــوى مَـــّراح

مـــا فـــات مـــعـــهـن بـــالافـــراح

اســـهـــر الى ان الـــفـــجـــر يـــنـــبـــاح

وارقـــد الـــين الـــضـــحـى الـــضـــاحي

وهي من غزله المبكر بمي في الزبير ؛ إذ كان ينعم برؤيتها ومحادثتها ٠

ومما قاله بعد زواج مـي الزواج الأول قصيدته التي مطلعها :

هـل الـــدار يـــا عـــواد الا مـــنـــازل

ســبــاريــت يــا عــواد خــفــيت رســومــهــا

ذكر خلاء الدار ، وخفاء رسومها ٠٠ هذا في بيت واحد هو المطلع ، وهو يعني بلا ريب الدار بعد رحيل مي ، ولكن المعاني العاطفية تداعت ، ونسي الترتيب الزمني المنطقي ، فتذكر في البيت الثاني حال الدار قبل رحيل مي ، فوصف إشعاع الضياء من منازل الدار على بعد بلمعان الوشم في كف مي ! ٠

واستمر في التذكر يصف الديار بأنها منازل من تعلق بهن قلوب العشاق ، فذكر مع مـي زينب وهنداً وليلى ، وهو لا يريد نساء بأعيانهن ، وإنما أراد تعدد

متيمات القلوب من العربيات ٠٠ وأسماء فتيات العرب المتيمات في الأكثر من هذا القبيل : هند وليلى وزينب ٠٠ ولعله على هذا المنوال قول عرار بن شهوان :

ثـــريـــا ومـي والـــربـــاب وزيـــنـــب
ويَـقْـدَن هـوى قـود الامـهـار الـعـسـايف

وعاد يذكر وحشة الدار بعد رحيل مي مع تعلقه بمي ، وليس عنده من يبث عليه همه غير عواد خادم مي ، فناجى عواداً يقص عليه هيئة رحيل مي وأهلها كما يتصوره هو :

فـانـا اقـول يـا عـــواد عـنـهـا تـقـلـلـوا
وخـــلـــوا رزايـــا الـــدار لـــلـي يـسـومـهـا
تـبـصـر خـلـيـلـي هل تـرى من ظـعـائن
تـرامت بـهم فـوق الـشـفـا من حـزومـهـا
تـنـحت عن الحـزم الـيـمـاني وقـوضت
عـلى شـاطي الجـرعـا قـوي عـزومـهـا
كـمـا الـسـفن يـا عـواد في لجـة الـنـيـا
ضـحى قـوضت هـبت عـلـيـهـا يمـومـهـا
ولابـــد مـي في مـــقـــاديـم حـــيـــهـم
عـلى مـثل بـيت الحـرب ولـبـه يـزومـهـا
وفـيـهم يـطق اطـنـابـهـا مـغـرم بـهـا
غـيـــور عـلـى عـوراتـهـا من قـرومـهـا
وداروا حـذاهـا والـقـنـا يـقـرع الـقـنـا
كـمـا دار بـالـقـطب الـشـمـالي نجـومـهـا

ثم ندب عواداً يتحسس له أخبارها – وهو ندب كلامي لا فعلي كعادتهم في الرسائل ، وإرسال النجائب كما في قصيدة فيحان بن ثمر الرقاص اليائية – :

فــرح يــا عــويض الــروح مــني وحــيــهــا

وشف لي طــواريــهــا وخــذ لي عــلــومــهــا

ثم أخذ في التغزل والتشبيب :

ولا تحــسب الجــثــجــاث والــرمث والحــزا

ولا الــشــيح والــقــيــصــوم عــطــة هــدومــهــا

وحــــذرا تــــرى حــــدر الجــلابــيب خــــثّــر

غــرابــيــب يــا عــواد تــمــضي ســهــومــهــا

وأخذ في التوجد مازجاً الوجد بالتشبيب كقوله :

جــداة الى انجــابت جلابــيــب خــدرهــا

يــظــنــونــهــا الــرعــيــان بــارق غــيــومــهــا

ثم أضرب عن مندوبه عواد ليأسه من مي ، وأركب مندوباً آخر إلى نجد حيث غرامه الآخر ٠٠ غرامه بأسرته وملاعب صباه هناك ، فلما وصلت مطية المندوب أول رعان نجد وقد اتجهت من الزبير دار مي مغربة فمجنبة : أطلق لها العنان في البحث عن أسرته ، وأعطاه هذه الإشارة :

فــعــلــمــي بــهــم نــــزل عــلــى جــــو ثــــادق

ســقــــاهــــا مــرنــات الــغــــوادي ركــومــهــا

مــرابــيــع لــــذاتــي وغــايــــات مــطــلــــبي

ومــخــصــوص راحــاتــي بــهــا في عــمــومــهــا

وبالتداعي بدا له النقيض ، وهو منازل مي التي أتلفه هواها فدعا عليها دعاء مراً :

مــنــــازل لمــي شــعــبــث الــبــــين حــيــهــا

وهــبــت ثــمــان ســنــــين فــيــهــا حــســومــهــا

وقد عارضها عبدالله الفرج بقصيدة مطلعها :

هل الدار الا خافيات رسومها

وهل شاخص في الحي الا رسومها

وقصيدته التي مطلعها :

حي المنازل وهن طلول

تحية الصاحب صحيبه

من غناء ابن لعبون وهو في الزبير بعد رحيل مي ، وزواجها ٠٠ ولعل ذلك في رحلة زواجها الأول ؛ لأنه يحيي المنازل ولا يدعو عليها ٠٠ يقول :

وانشد مغاني زريف الطول

عطبول حيثك تهذري به

عن خردات تطق طْبول

بالغي ماهن على ريبه

في ملعب كان به عطبول

وانا من اكبر لواعيبه

جانا بطوقه يطل طلول

حيْ المعنى وشراشيبه

والثوب خارة من اصطنبول

رسم الصلاطين في جيبه

ياطالما جا يخب وطول

ما طال به دون اصاحيبه

ناس سقوني بكاس بطول

خمر المواصل غذوني به

واليوم راحوا وانا ما اطول

ما راحوا الا فوادي به

وقصيدته التي مطلعها :

لــو بى اتــمــنى قــلت يــالــيت من غــاب

عــمــا جــرى بــالــلــوح والــلــي كــتب به

تبرمٌ بالمجتمع الزبيري ، وقد صب جام غضبه على الوسط المحافظ مع مرارة من الشكوى ومعاتبة القدر ٠٠ وذلك واضح في المطلع وما بعده إلى أن قال :

رجــالــهم مــا يــســفــه الا الى شــــاب

مــثــل الــقــرع يــفــسـد الى كــثــر لــبــه

صــدوقــهم عــنــدي خــنــــوب وكــــذاب

والــبــحــر مــثــل الــلــيــل مــا يــنــشــرب بــه

ضــراغـم عــنــد الخــونــدات واطــواب

والى طــلــع لــلــــدو تــلــقــــاه دَبَّـــــة

والا فــــراعي نجــــد من طــــالــــعه هــــاب

تــراه مــثــل الــسـيـف مــا يــنــلــعـب بــه

اهل الــعــمــايم والــنــمــايم والاصــحــاب

مــــد الحــبــل في ذمــهم واحــتــطب بــه

ثم قال متوجعاً من رحيل مي إلى المشرق :

خـف الــقــطــين وحــين قــوضن الاحــبــاب

هــبــت لــنــا من نــسـمــة الــشــرق هــبــــه

حــامل هــواهــا الــقــلب في لــيل الاتــعــاب

حــــمل ثــقــــيل مــــا ادري وين ابي اذبـه

لــو صــار في قــبــرٍ ومــســتــور بــتــراب

كــان الحــقه يــا ابن حــمــد واصــطــحب به

يــنــفع صــريــعٍ فــيــه بــالــظــفــر والــنــاب

مــا يــنــفع المــبــطــون فــي الــنــزع طــبــه

وظل ابن لعبون يكني عن اسم هيلة بمي ، ولم يصرح باسمها إلا مرة بعد زواجها الأول ، ثم لما تزوجت ثانية صرح باسمها ، وصرح بغضب العاشق بعد اختيار أهلها للديلمي ، ويأسه من الزواج بها .. يبين هذا الغضب في قوله :

عـقـب الـفـهـد تـاخـذ الـفـيُّـوم
يـجـيـب كـيـلـه بمـنـديـلـه
شـومـي رمـاك الـقـدر بـسـهـوم
عـقـب الـتـعـلـي نـزلـتـي لـه
اصـبـح حـلـيـلـك اخـو نـعَّـوم
ان راطـنـك خـوب قـولـي لـه
يـا مـال نجـم حـداه نجـوم
يـدق ديـلـم ومـن هـي لـه

ومع هذا الغضب نجد مثل هذه الرقة :

دلالـه ارخـص عـلـيـه الـسـوم
من عـقـب مـا هـوب مـغـلـي لـه
الـقـيـل والـقـول هـو والـلـوم
يـعـداك والـعـيـب يـا هـيـلـة

ويضمن هذا العتب تظلمه :

ان جـاك مـثـلـي كـثـيـر هـمـوم
يـلـوم حـظـه فـقـولـي لـه :
كـم ادخـل الحـبس مـن مـظـلـوم
ومـا جـاك مـن وادي سـيـلـه

ثم يعود إلى العتاب مادحاً زوجها الأول من آل سعدون :

مـن عـقـب شـيـخ الـعـرب والـروم
مـغـنـي المـفـالـيس مـن نـيـلـه

زبـن المجـلـى حـجـى المـضـيـوم
يـوم المـداريـع تـتـلـي لـه
وانت عـلـى هـودج مـزمـوم
ومـن الـغـوالي جـهـاجـيـلـه
كـم خـادم لك وهـو مـخـدوم
تـتـلـي ظـعـونـه ويـتـلـي لـه

وفي هذا الجو الغاضب لا يفتأ يتغزل ويتشوق إلى أيام مضت وانقضت بنعيم:

سـفـاح دمـعـي عـلـيـه سـجـوم
مـثـل الـسـحـايـب هـمـالـيـلـه
غـرو نـطـحـنـي يـجـر هـدوم
يـجـلـي صـدى الـقـلـب شـوفي له
يـلـوح لـلـغـي فـيـه رسـوم
والـزيـن والمـلـح خـلـي لـه
يـالـيـت من ضـاجـعـه بـالـنـوم
واسـتـر بـه لـو طـرف لـيـلـة

قال أبو عبدالرحمن : البيت الأخير أمنية جنسية تقلُّ عن سنن العذريين الذين يقنعون بطيف الخيال ، وقصاراه مناجاة أرواح .

ومن شعره وهو في الزبير بعد زواج مي الثاني قصيدته التي مطلعها :

حـي المـنـازل وهـن سـكـوت
قـفـر جـفـاه الـطـواريـق

وذكر ذكرياته معها ، ونزهته معها فوق يخت ، ثم هجا زوجها الأخير وتوجد عليها .. قال :

حـظـى بـهـا الـطـاغـي الـطـاغـوت
ضـحـاك بـالـهـرج مـلِّـيـقِ

والى قـــضب عـــرضك الـــعـــكـــــروت
شـــلـــقـــك بـــالـــهـــــرج تـــشـــلـــيـــــق
يـــامـــــا حـــلا مـــســـكـــتـــه بـــســـكـــــوت
ومـــصـــــة شـــفـــايـــــاه بـــالـــــريـــــق

قال أبو عبدالرحمن : انتقل هاهنا إلى مي ٠

وله قصيدة أخرى بنفس المطلع السابق في العام الذي رحلت فيه إلى زوجها الأول ، وعد هذا العام من أعوام وصلها ٠٠ أي بعد ولعه بها بثماني سنوات ، إذ كانت هذه الفترة فترة هياج وجد على مي في شعره ، وقد كرر الثمان هاهنا تلقائياً في قوله :

مـــا تـــوصـــل الخـــط يـــاخـــو قـــوت
لاحـــبـــــاب قـــلـــــبي واصـــاديـــقـــي
بـــتـــحـــيـــــة الـــعـــــاشق المـــبـــهـــــوت
لام الـــثـــمـــــــان الـــــبـــــاريـــــق
لـــه في ضـــمـــــيـــــري ثـــمـــــان بـــيـــــوت
عـــــالـــي بـــنـــاهـــــا شـــواهـــيـــــــق
وحـــبـــــال وصـــلـــه ثـــمـــــان بـــتـــــوت
مـــــا عـــــاد فـــيـــهـــــا شـــبـــــاريـــقـــي

فيظهر أنه قال هذه القصيدة عام ١٢٣٦هـ ٠

والخطاب في القصيدة لقوت وصيفة مي ، وأخي قوت ٠

ومن توجده على مي – وهو في الزبير – عام زواجها الأول قصيدته التي مطلعها :

حـــي المـــــنـــــــــازل وهـــن اطـــلال
شـــرق الـــعـــقـــيـــلـــــــة الـــى هـــيـــلـــــة

وقد وصفها في هذه القصيدة حسياً ، وأثنى على أصالة نسبها ، ودافع عن عفافها .. يقول :

لا بـــــو ردوف وحـــــبـــــة خـــــال
يـــطـــري بْـــبـــال انـــا اطـــري لـه
تـــرى شـــفـــايـــاه ذوب اعـــســـال
ذوب الـــشـــهـــد مـــن سلالـــيـــلـــه
ســـالـــم مـــن الـــقـــيـــل هـــو والـــقـــال
بـــيـــت عـــريـــب مـــنـــاهـــيـــلـــه
عـــــريـــب جـــــدٍّ وزاكـــي خـــــال
طـــرحـــة عـــبـــيـــات وكـــحـــيـــلـــة

وتلمظ بذكرى الشخال في طفولتها ، ثم توجد عليها بمثل قوله :

وايـــامـــهـــا الـــلـــي مـــضت بـــاقـــبـــال
قِـــبَـــلْ يـــجـــيـــنـــي وانـــا اجـــي لـــه
يـــا لـــيـــت يـــا عـــالـــم بـــالحـــال
مـــن دق شـــالـــه عـــلـــى شـــيـــلـــه

وقال عن عفافها :

يـــا نـــاس تـــلـــعـــن ابـــو مـن قـــال
مـــا ســـفـــرة الـــوجـــه بـــبـــخـــيـــلـــة
مـن صـــــدق الـــــواش والـــــعـــــذال
فـــيـــمـــا حـــكـــوا بـــه ولـــو لـــيـــلـــة

ولما ذكر بُعد عهده بثماني سنوات ، وأنها لم تَسُرَّه بوصل ليلة مقابل روعة عام من أعوام رحيلها أشبع جوعه الجنسي بذكرى طيف رآها في المنام حيث تعلى سيله على سيلها .. وكان غزلاً مكشوفاً .

وقد عد أول العام الذي تزوجت فيه زواجها الأول من أعوام وصلها ، فكانت سني وصلها ثمانية أعوام ٠

وظل ابن لعبون من ساعة خروجه من الزبير إلى أن توفي يمنح مياً أحر أنغامه، ففي سنة خروجه من الزبير أرسل للأمير أحمد محمد السديري قصيدته الفائية التي بدأها بالتذمر من بلاد على سيف البحر اعتبرها دار تلف ، واعتبر الرحيل عنها عفواً من الله ونجاة ، وصرح برداء ة العيش فيها رداءة لا ندري أهي عن بخل أم عن فقر ؟ ٠٠ وقارن ببلهنية العيش التي عاشها في الزبير :

يـــا هـل الـعـــيـــرات عـن دار الـــتـلاف

من عـــفـــا الـــله عـــنـه يـــردف لـه رديف

عـن ديـــار كل مـــا فـــيـــهـــا يـــعـــاف

يـــا ركـب ويـلاه من ســـيـف كـــســـيـف

جـــيـت نـــاس عـــقـب اهل مـي نـــشـــاف

يـطـبـخـــون الـزاد بـالمـــاي الـنـظـيـف

مـن عـــقـب زل الـــزوالـي والـــلـــحـــاف

والـنـمـد والجـــوخ سـفـوا لـي سـفـيـف

إذن ابن لعبون جاء إلى الكويت في المرة الأولى أشهراً ، ولم يقر قراره بها ، بل اتجه إلى البحرين ٠٠ ثم نادى علماً اسمه أو لقبه حراش لم نجد له ذكراً في غير هذه القصيدة يناديه ويشير إلى منازل مي وكأنها أمام عينيه :

شف مـــنـــازل مـي في ذيـك الحـــضـــاف

يـــا حـــراش ان كـان يـــحـــتـــاج تـــعـــريف

ذا مـــصب المـــا وهـــذاك الـــرفـــاف

والحـــرم هـــذا وهـــذاك المـــضـــيـف

وتفاصيل بيت مي تدل على يسار ٠٠ وهي من بادية ترحل وتنزل طلباً للمرعى:

كم عفا الله لي بربعه من مطاف

مع نزول اعطان مشتاه ومصيف

وقصيدته التي مطلعها :

تعاليلك ياسلمى تعاليل جهال

وليفك عليل بالهوى دوم للتالي

بدأها بمعاتبة الدنيا التي سماها سلمى ، وثنى ببكاء أطلال مي ، وثلّث بالغزل فيها ، وربّع بمدح أحمد بن ضاحي ٠

ويظهر لي أنه قالها في الكويت – وكان ذلك بالطبع بعد رحيل مي مع زوجها إلى ديلم بسنين ٠٠ وقد دعا على مرابع مي ممهداً بعتاب الدنيا التي تفرق فيها وصله ، فقال :

سقى السفح واهله مخلف السفح مرزمٍ

وبالسفحْ مسْجمْ مدمَع الصب هطال

مغاني حبيب قطع الهجر وصلها

غدت مثل رسم الجسم من فقدها الوالي

واستمر في تدفق عاطفي : دعاء على الدار ، ومساءلة للأطلال الصامتة ، ثم أخذ يتلمظ بذكرياته مع مي ويتغزل بها على هذا النحو :

ضحوك اللمى مدموجة الساق كالقنا

خفوق الحشا مرتج الارداف مكسال

الى قلت هاتي حاجة لي ودنقت

تنثر لها مثل الشماريخ ميال

تـصـاويـر هـــاروت ومـــاروت حـلـيـهـا
وحـلـي الـغـوانـي بـه دمـالـج وخـلـخـال

ثم أخذ في الجيشان العاطفي يمزج بين استعادة الذكريات ، والإعلان عن أكيد الحب على الرغم من بعد الدار ، وطول سني البعد ٠

وقد عارضها الشاعر عبدالله الفرج بقصيدة مطلعها :

تحـمـلـت يـامـي الـعـنـا مـنـك عـزا لي
ولا طـعـت بك بـالـلـوم عـمي ولا خـالي

وعند استقرار ابن لعبون في البحرين ظل يذكر مياً كما في قصيدته العينية : «يا علي صيح بالصوت الرفيع» ٠

وقال في البحرين قصيدته التي مطلعها :

مـنـازل حـاشـهـن الـسـور
عـقـب الـغـضـي صـايـر وحـشـة

ويرجح أنه قالها في البحرين أن قصيدته « يا علي صحت بالصوت الرفيع » قيلت في البحرين بيقين يخاطب فيها علياً ٠٠ وهو هاهنا أيضاً يخاطب نفس الشخص ، ويدل السياق على أن ذلك الشخص لم يشهد لهوه في الزبير ، فالقصيدة إذن قيلت خارج الزبير :

يـا عـلـي مـا شـفـت ذاك الـدور
يـوم المجـابـيـب مـرتـهـشـة

ومن شعر هذه المرحلة قصيدته التي مطلعها :

صَـوَّت عـلـى الـفـرقـا بـلـيل لـعي به
والـبـرق مـثل كـفـوف دقـاقـة الـطـار

وقد قالها بعد رحيله من الزبير بيقين ؛ لقوله :

«والـيـوم مـا ظـنـي عـلـى الـدار ديـار»

ومما قال في البحرين قصيدته التي مطلعها :

حـي المـنـازل شـمـال الـكـوت

وتحـيـة الـريـم حـواشه

إلا أن الاحتمال لا يزال قائماً : هل قالها عن هواه في مي وهو بالزبير ، أو في هوى جديد بالكويت ؟ ٠

والاحتمال الأخير مرجوح ؛ لأنه قال هذه القصيدة قبل إقامته الأولى في الكويت ، وتلك الإقامة لم تطل ، وقد هجا إقامته الأولى ٠٠ وقصيدته التي مطلعها :

حـي المـنـازل وهـن صـفـوف

انـحـب عـلـيـهـن واهـلـهـنـه

على نفس النسق أيضاً في بكاء المنازل بعد مي ، وهي مما قاله بعد خروجه من الزبير ، ومن المحتمل أن يكون قالها في البحرين حيث تذكر مرابع أنسه بالزبير، وبعث بالتحية لا بالهجاء المر لمجتمع الزبير ، بل بالتحسر ؛ لأن المراد مجتمعه الخاص في مجتمع الزبير الكبير ٠٠ يقول يخاطب علياً الذي ألفنا اسمه في قصائد ابن لعبون وهو بالبحرين :

حـي المـنـازل وهـن صـفـوف

انـحـب عـلـيـهـن واهـلـهـنـه

مـنـازلٍ يـا عـلـي مـا اشـوف

غـيـر الـهـوالات فـيـهـنـه

الجـن فـيـهـا تـدق دفـوف

والـبـوم يـلـعـي عـلـيـهـنـه

هـل زورة والمـطـي وقـوف

واون ونـة بـعـد ونـة

ولو كان قالها وهو بالزبير ما كان يبعث برسالة إلى هناك ٠٠ يقول :

مـا تـوصل الخـط ابـو مـشـحـوف

حـسب الـرجـا فـيـك والـظـنـة

ثم أخذ في الغزل :

دار بـــهـــــا لـــي ادمـــــاة خـــشـــوف
تـــــرعـــى الامـــيـــلـــح ويـــــردنـــه
يـــا عـــلـــي فـــيـــهـن شـــقـــرا زلـــوف
ورديـــــة الخـــــد مـــنـــهـــنـــــه
مـــادام قـــلـــبي بـــهـــا مـــشـــغـــوف
يـــطـــلـــب هـــــوى نـــــازح عـــنـــــه
وش لـــون أبي أصف وهـــو مـــاصـــوف
مـــهـــرة شـــريـف ومـــعـــتـــنـــــة
لجـــة خـلاخـيـلـهـــا وشـــنـــوف
كـــلـــت فـــــؤادي مـن الحـــنـــــة
ومـــــــجـــــــدلات خـــــلاف ردوف
مـــثـــل الـــغـــرابـــيـب يـكـســنـه
حـــدر الـــحـــواجب لمـــيع ســـيـــوف
والـــســـيـف بـــظـلالـــه الجـــنـــة
مـــهـــالك دونـــهـــــا وتـــلـــــوف
لا هـــي بـــــفـــــرض ولا ســـــنـــــة

ومن قصائده التي وجهها لعلي وهي في مـي قصيدته التي مطلعها :

نـح يـاحـمـام الـهـــوى بـسـجـوع
يـــامـــن يـــســـومـه وانـــا ابـــيـــعـه

يقول في آخرها :

ان مـــا مـــضى شن وهـي في الـــقـــوع
فـلا بـــــقـى شن وهـي قـــيـــعـــــة

الشطر الأول كناية عن حالها وهي مخدرة في بيت أهلها ، والشطر الثاني كناية عن تقدم السن بها .

ومما قاله متشوقاً إلى مي وهو في الكويت آخر عمره قصيدته التي مطلعها :

حـــي المـــنـــــازل بـــــديـم خـــــزام

تحـــيـــــة الجـــــار لـــلـــجـــــاره

وفيها يقول عن منازل مـي :

بـــــين المـــويـــلـــح قـــطـــين خـــيـــام

مـــضـــــروبـــــــة دار مـــــــا داره

عـــلـــمي بـــهـــا مـن ثـــمـــان اعـــوام

ايـــــام ثـــــوبـي خـــضـــــر خـــــارة

وايـــــام عـــيـــشي رغـــد وايـــــام

اهـــلـــي هـل الـــغـــي وانـــصـــــاره

ان قـــلـــت لـــلـــــورق لـي قـم قـــام

يـــقـــــوم يـــلـــعـي عـــلـــى ازهـــاره

اســـهـــــر الى مـن رقـــيـــبي نـــام

واشـــوف بـي يـــا عـــلـي شـــــارة

ضـــرب الـــهـــوى فـــيـه شـــام وشـــام

شـــفـــتـــه وشـــاعـت لك اخـــبـــاره

والـــيـــــوم صـــارت خـــيـــال احـلام

مـــا عـــــاد بـــالـــــدار ديـــــارة

يمـضي الـشـهـر يـا عـلـي والـعـام

تحـــيـــــة الجـــــار لـــلـــجـــــارة

قال الأستاذ الدويش : المويلح منطقة في الزبير [١٤] .

قال أبو عبدالرحمن : ومما يدل على أنه قالها خارج الزبير توجده عليها بقوله:

مـــن ولـــف دار لابـــن عـــــــــــــوام

شـــبـت بـــنـــــــار الحـــشـــا نـــاره

ولم يعش ابن لعبون بعد خروجه من الزبير ثماني سنوات ، وإنما عنى بهذه المدة عهده برحيلها إلى الديلم في قوله :

عـــلـــمي بـــهـــا مـن ثـــمـــان اعـــوام

وهي في خطاب علي الذي يوجه إليه قصائده وهو بالبحرين ، وقد أسلفت أن رحيلها لديلم عام ١٢٣٩هـ ، فتكون القصيدة مما قاله في الكويت آخر حياته عام ١٢٤٧هـ .

وقصيدة التوبة اللامية من آخر ما قال ، وقد مات بالكويت ، ودلت قصيدة التوبة على أن في هوى ابن لعبون أكثر من واحدة .. إلا أن عشقه لمي ، وأما الأخريات – وأكثر ذلك في الزبير – فكن نديمات شعر وطرب .. يتغزل بجمالهن ولا يصل فيهن إلى مرحلة العشق .. وابن لعبون يذكر هذه الأجواء بمثل قوله :

زل دهـــرك يـــا مـــحـــمـــد بـــالـــغـــزل

والـــغـــزال الـــلـــي تـــهـــزا بـــالـــغـــزال

والخـــدود الـــلـــي كـــمـــا وصف الـــســـجل

نـــاكـــســـاتـــك بـــالـــســـقم نـــكس الـــهـــلال

---

(١٤) الفن والسامري ص ١٤ .

وقوله في قصيدته الأخرى التي قالها بالزبير تصريح بأن لمي صويحبات عاش جوهن غناء ومحادثة :

غـــاب الـــرقـــيـــب وطـــولـــن الـــتـــعـــالـــيـــل
عـــنـــي كـــمـــا وصـف الـــقـــمـــاش المجـــول

وتغزل بمي وصويحباتها بعد زواجها الأول في قصيدته القافية التي وجهها لابن جلق .. يقول فيها :

اســـــأل الأطـلال عـن ســـــود الحـــــدق
حـيث عـلـمك بـالـطـلل عـلـم وثـيـق
مـــا عـــلـــيـك ان خـــلـت بـــراق بـــرق
من ثـنـــايـــا دار اهل وادي الـــعـــقـــيـــق
قـانـيـــات الـعـاسـهن مـــثل الـــدنـق
زرقـــة واجـيـــاد تـــلـــعـــات عـــنـــيـــق
مـحـصـنـات مـــا عـلـقـهـن الـــدبـق
مـــا كـشف غـــراتـــهن كـــود الابـــريـق
لـفـتـــة الـغـــزلان وبـطـــون الـسـلـق
والمـــعـــارف من خـــوافي ريش هـــيـق
شـــايـلات مـــثل شـيـــشـات الـعـــرق
نـــاعـمـــات والخـمـــر خـمـــر عـتـيـق
خـيـلـهـن تـشـربك يـا حـلـــو المـرق
جـيـشـهن يـاكـــلك كـالخـبـز الـرقـيـق
كـنـــهن يـــاطن عـــلى اطـبـــاق الـــزلق
إن علاه الـــطل أو نـــوض الـــطـــريق
مـيـسـرات بـالـتـمـــاني والجـــوق
كـنـــهن لـــلي بـــرجـــواهـن شـفـيـق
دوحـــة الـــبـــرهـــام وظـلال الـــغـــوق
من قـــعـــد في ظـــلـــهن مـــافك ريق

راكـــبـــات في طـــبق عـــالي طـــبق
من زعـانـيف الـهـوى قـلـبي خـفـيق
رحت الـــومـه في هـــواهن وانـــطـــلق
مـــدمع له ســـال من بـــحـــر عـــمـــيق
ضـــاربـــاتـه في عـــصـــاهـن وانـــفـــلق
كل فـلـق ظل كـالـطـود الـعـتـيـق
اتـــرعن كـــاس الـــهـــوى لي وانـــدفق
كـــاس عـــذري الـــهـــوى راعي الحـــريق
غـــرد الحـــادي بـــصـــوتـه بـــالـــبـــلـــق
يـنـهـم الاظـعـان عـجلات الـلـحـيـق
يـــا رحى يُـــلْـــهى لـــهـــا كـف الـــفـــلـق
دارهـــا الأفـلاك والـــدنـــيـــا دقـــيـــق
نـــاست الـــعـــربـــانِ والـــشـــمل افـــتـــرق
في فـــــريق حـــــال من دونه فـــــريـق
شـــتت الخلان وادعـــتـــهم طـــقـــق
ركـبـة المـاشـوم لحـصـان سـبـيـق
ســـيف غـــارات الـــلـــيـــالـي وانـــذلـق
مـغـفـر الـسـلـطـان واخـوٍ له شـقـيـق

كما تغزل بهن في قوله :

مـضى ذا ولي قـلـب بـالاحـبـاب مـولع
بـزيـنـات غـضـات الـصـبـايـا ووْرودهـا
حـسـيـنـات مـجـمـولات بـالـزين والـبـهـا
غـضـيـضات لـلـطـرف الحـور في صـدودهـا
عـرايسْ من الخـفـرات يـبـدن لي الـرضـا
ويـورن شـامـات الـغـوى في خـدودهـا

ربن بالتماري بينهن ينفح الهوى
ويسبن بوجنات تفتح ورودها
تعنَّيت منهن بالذي صاب مهجتي
من الغانيات الغيد غضًّا عنودها
مهاة تشابه للجوازي وجيدها
تليع ويزهى ما زها به عقودها

وقال :

حللت يا عصر غوانيه طربات
حيث المها بوصالهن مطرباته

وذكر سارة – وقد يكون ذلك مجرد رمز كما أسلفت الشاهد من شعر عرار بن شهوان ، وقد تكون من صويحبات مي :

منازل يا علي مادام
تنزل بها مي مع ساره

قال أبو عبدالرحمن : ولابن لعبون قصيدة مطلعها :

فلا ذر نور الشمس والشمس خدك
ولا القمر السيار يوم انت ساير

قالها في آخر حياته بعد خروجه من الزبير متوجداً على مي ، ومعاتباً لها .. يقول :

عليها ملامي كلما ذر شارق
وعتب كبير حيثه ام الكبابر
وانا اقول يا عواد ظني وفكرتي
وكثرة مديحي فيك ما هوب باير
ورح يا خلي القلب مني وحيّها
وقل يا عويض النفس عند الحضاير

ويـــا مـي لـي بـك من قـــديم مـــودة
ووصل الى انـحـلت جـمـيـع المـرايـــر
يـزيـد الـفـتى المـفـتـون ممـشـاه بـالـهـوى
ويـشـوف مـا مـثـلـي لمـثـلـه مـغـايـــر
كـمـا شـار لـه مـركب بـريـح يـسـنـه
يـاهـوم وهـو في غـبـة المـا يـخـايـــر
فـلـو يـدري اني فـيـه راعـي مـودة
وكـم وقـفـةٍ وقْـفت بـادنـاه حـايـــر
ووقـفـة مـريض له عـلى جـمـرة الـغـضـا
وسـلـطان هـجـره لـلـمـحـبـين حـايـــر
احـاثي مـلاَّقـة المـواعـيـد عـنـدهم
وبـرد الـشـتـا فـيـهـا وحـر الـهـواجـــر
الا واشـقـا قـلـبي من الـضـيم والـعـنـا
وصـفق الـهـوى يـا مي في كل عـايـــر
يـقـولـون جـور الحب يـا مـي هـيّن
وحـبك لجـا بـي لاجـي بـالـضـمـايـــر
اشـوف زرع الـقـلب قـد هـاف والـتـوى
وعـيـني تـهل الـدمع كـدر وحـايـــر

ويظـهر أن ذلك بعد زواجـها الـثاني بثـماني سنـوات ٠٠ أي قالـها في عام ١٢٤٧هـ لأنه حدد فترة البعد بثماني سنوات ٠٠ يقول :

الى هـبت الـشـرقي عـلـيـنـا تجـددت
وكـبرت عـلـيـنـا يـا طـبـيـب الـصـغـايـــر
ومي ثـمـان سـنـين مـا خـلـت زولـهـا
أعـوّد وسـايـلـهـا عـلى ويـش صـايـــر
مـواعـيـدهـا بـالـقـيـظ والـقـيـظ انـقـضى
وهـذي بـروق الـوسم مـثـل الـذخـايـــر

ولعل مما قاله في منازل مي بالزبير بعد خروجه منها قوله :

صـوَّت عـلى الـفـرقـا بـلـيل لـعي بـه
والـبـرق مـثل كـفـوف دقـاقـة الـطـار
يـغـديـك مـرة ومـرة تـقـتـدي بـه
كـنك غـريـر بـالمـنـازل ومـحـتـار
ولا اظـنك اول من تـزايـد نـحـيـبه
شـفق عـلى ذيـك المـنـازل بـتـذكـار
مـنـازل تـوري الحـبـيـب لحـبـيـبه
يـامـا قـضى المـشـتـاق مـنـهن الاوطـار
يـنـسـاك كـان انك نـسـيت الـذي به
اسـقـاك خـمـر مـا به اثم ولا عـار
يـوم الحـبـايب والـقـرايب قـريـبـة
والـيـوم مـا ظـني عـلى الـدار ديـار
يـنـشـد بـهـا الـساري يـبي من يـجـيـبه
ولا جـاوبه غـيـر الـصـدى هـو والاحـجـار
مـا هـو عـجب مـا ريت به من عـجـيـبـة
اصـبـر عـلى جـور الـلـيـالي والاقـدار
هـذا مـضى يـا راكب لـه نجـيـبـة
تـفـري الـديـاجي تـقل صـنـدوق سـحـار
مـا جـابـته فـرخ الـقـطـا مـا تجي به
عـمـلـيـة في كـورهـا مـطـلـق شـكـار
زل المـزاح وراح صـبـري حـطـيـبـة
من جـادل ركب عـلى اعـضـاي مـنـشـار
عـجـاب لـعـاب ولانـي لـعـيـبـه
وان قـاربـك قـربه كـمـا لـهـبـة الـنـار
خـيـلـه تـدوسك قـبل صـوت الـرقـيـبـة
قـطـاع مـاصـول لـلارواح جـزار